19 me. année No 962

Le Caire 10 - 12 - 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ١٣٧١ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ماذا بعد هذا ؟

الأمر بيننا وبين الإنجليز يجل عن الكلام والكتابة وما جدوى اللسان العربي فى السمع الأعجم ؟ وما غناء القلم الأجوف فى الفؤاد المصمت ؟ هذه دماؤنا تهرق ، وأرواحنا تزهق ، وأرزاقنا تنهب ، وشوكتنا تستلان ، وكرامتنا تمتهن ، وعزتنا تستذل ، وأرضنا تحتل ، فهل يدفع عنا بعض أولئك أن نخطب حتى يجف الريق ، وأن نكتب حتى ينفد المداد ، وأن نحتج حتى تنقطع الحجج ؟ إن الشعب الذى لا يقابل التعدى إلا بالاحتجاج ، ولا يعارض التحدى إلا بالشكوى ، ساقط من حساب هيئة الأمم المتحدة ، لا تقيم له وزنا ، ولا تقدر له قيمة

إن الإنجليز فى تاريخهم المظلم المجرم لم يصيخوا إلى صوت الضمير ، ولم يحفلوا بشرف الوفاء ؛ إنما هم قوم نفسيون عمليون لا يقدمون غير المنفعة ولا يسلمون إلا بالواقع . فاذا وصفناهم بما ميزهم به الله من نذالة النفس وسفالة الطبع وبلادة الحس ولؤم السياسة وخبث النية ، قالوا فى صفاقة الخنزير ودناءة الكلب : ليس هذا فى الموضوع ! أجيبوا عن العمل بالعمل ، وردوا على القوة بالقوة !

كنت فى غلواء الشبيبة حين غضبت مصر غضبتها الأولى على هؤلاء البرابرة الحمر سنة ١٩١٩ ؛ وكنت يومئذ مدرسا بالمدرسة الإعدادية الثانوية ؛ والإعدادية والحقوق كانتا أول المدارس التى أيقظت وعى الأمة ، وأوقدت نار الثورة ، وقادت كتائب الجهاد ، ومنهما تألفت اللجنة التنفيذية للطلبة . وكانت الحال التى أجدتها الحماية المفروضة تقتضى الكلام والكتابة . كان السلطان والحكم والجيش والشرطة والصحافة فى أيدى الإنجليز ، فلم يكن لنا من سبيل بين الضغط والقهر والإرهاب إلا أن نجتمع فى المساجد والمعاهد نقول فى العلن ما لا ينشر ، ونكتب فى السر ما لا يقال . وكان نصيبى من الجهاد المقدس أن أحبر المنشورات السرية لمن يوزع ؛ وأن أحرر الخطب العلنية لمن يلقى . ثم زادنى الله نفسا فى أجلى فأنا أشهد اليوم غضبتنا الثانية تتسعر فى الشباب والشيب ، وتتنمر فى الشعب والحكومة ، وتتوغر فى المدن والريف ، فلم أجد حاجة إلى أن أقول ، ولا ضرورة إلى أن أكتب . وماذا يقول القائل والوعى يقظان والرأى جميع ؟ وماذا يكتب الكاتب والشعور محتدم والعزم راسخ ؟ كل يد تطلب السلاح ، وكل نفس ترجو التضحية ! حتى أنا وقد نيفت على الستين أصبحت أجد القلم فى يدى هناة لا تنفع ، والكلام على لسانى هراء لا يفيد . إنما أود — وما تغنى الودادة — لو أكتب بالسنان وأتكلم بالمدفع !

إن اللغة التى يفهمها طغام الاستعمار ، جمل الله حروفها من حديد وكلماتها من نار . فدعوا الشعب يا أولياء أمره ، يعبر للعدو عن غضبه بهذه اللغة . وإياكم أن تقيموا السدود فى وجه السيل ،

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

موقف الفكر العربي
من الحضارة الغربية

لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك

(تتمة)

المساواة فى الأصول :

ومن المساواة، المساواة فى الأصول؛ أو المساواة رغم الأصول. والمساواة رغم الأصول صرخة فى الناس قديمة ؛ وهى صرخة فى الشعوب العربية قديمة معروفة ، بل هى لم تحتج فى العرب إلى صراخ ؛ ذلك أن هذه المساواة فى طبعهم ، وهى مستمدة من بدوهم ، فالنبى : يا محمد ، والخليفة : يا أبا بكر ويا عمر . لم يكن فيهم صاحب العزة أو صاحب النيافة أو صاحب الفضيلة . كانت العزة فيهم وكانت الفضيلة أصلا ، فهى لا تحتاج إلى تنويه . وكانت مدارسهم مساجد مفتحة الأبواب لكل طالب ، فلم تكن فيهم أكسفورد ولا كمبردج . وكان أصل المرء لا يقف به دون أن يصل إلى أسمى المراتب . فالمجوسى بل من كان أبوه مجوسيا يصل إلى أكبر مراكز الدولة ؛ ومن ذلك البرامكة . وبائع الحرير يوجه همه إلى الشريعة فيبلغ بها عند الناس المكان الأرفع، فيحترمونه ويجلونه ويتبعونه ، فذلك أبو حنيفة النعمان . والحياك بلد ولدا لا يجد سبيله إلى العيش إلا من سقى الماء يحمله فى جامع عمرو ، فيصله ذلك بالعلماء فيسمع منهم ويحفظ عنهم ، فإذا به الشاعر الكبير الفحل : فذلك أبو تمام . والشعب العربى يألف كل هذا ولسان حاله يقول : الكل لآدم وآدم من تراب

ويبقى هذا الطابع فى الشعوب العربية إلى عصرنا هذا ، فى البدو والريف ، وفى أكثر أهل المدن ، إلا جماعة من هؤلاء أخذوا عن عهود من الحكم لا يباركها الله ، نعرة لا تأتلف والطبع الشرقى العربى أبدا . وإلا جماعة قليلة أخرى رفعها المال رفعا ، وحط بها الجهل ، وهى تأبى أن تنحط ؛ فاتخذت من الترفع ذريعة إلى الرفعة ، وحاطت نفسها بزخرف من زخارف الحضارة كاذب ، لعل فى بهرة الظاهر ما يغنى عن استجلاء الباطن

والشعوب العربية لم تضق بغير العربى ، فنبغ فيهم الكثير من الأعاجم . ولم يضيقوا بغير المسلم ، فكان الأخطل من بين المقربين عند خلفائهم : خلفاء بنى أمية ، والدين جديد وقلوب المسلمين يقظة . واليهود وجدوا بين العرب ملجأ لما ضاقت بهم سبل الأرض . والسود ! لم يضق أحد بالسود ولا بالصفر ولا بالحمر، ويلتقى الأبيض الأسود إلى يومنا هذا فلا يكاد على اللسان العربى ، أن يلحظ سواده

فى المساواة بين الناس رغم حقارة الأصل ، وعلى اختلاف المولد من الأرض ، وعلى اختلاف لون الجلد ، ليس فى المدنية الحاضرة درس واحد تلقيه على الشرق ، بل إن دروس الشرق للغرب فى ذلك كثيرة نافعة

المساواة بين الرجل والمرأة

ونوع آخر من المساواة جاءت به المدنية الحاضرة ، تلك المساواة بين الذكر والأنثى . وتلك مساواة على المجتمع الغربى طارئة . فحظ المرأة فى شرق وغرب كان سواء . والرجل كان دائما ، فى شرق وغرب قواما على المرأة . والمرأة فى المجتمع الغربى إلى اليوم ، تتعهد عند الزواج على يد القس ، بالطاعة لزوجها . ولكن معنى المساواة أخذ يتغلغل إلى كل شىء ، فبلغ فيما بلغ علاقة ما بين الرجل والمرأة . وتعلمت المرأة الغربية فوجدت نفسها كفيئة للرجل فرفضت قيام الرجل على المرأة . ومنهن من رفضنه شكلا وانتهين . ومنهن من رفضنه موضوعا . وخرجت المرأة تعمل كما يعمل الرجل ، وتكسب كما يكسب ، فأغراها استقلالها فى الكسب بطلب استقلالها عند الزوج . والحق أن قومة الرجل على المرأة التى فرضتها الأديان، ما كانت ترمى إلى ظلم ولا إجحاف، وما كانت تمنع من تعاون وتفاهم . ولكن البغى فى الناس قديم. وقد عصم الحب المرأة من بغى الرجل ما دام ، وعصمت الذرية

أو تضعوا القيود فى رجلى الأسد ، أو تلقوا الماء فى فم البركان ، فإن غضب الشعوب كغضب الطبيعة ، إذا هاج لا يُقدع ، وإذا وقع لا يدفع

لقد حملنا حتى فدحنا الحمل ، وصبرنا حتى مللنا الصبر ! والصبر فى بعض الأحيان عبادة كصبر أيوب ، ولكنه فى بعضها الآخر بلادة كصبر الحمار !

أحمد حسن الزيات

الناتجة منها ؛ وعصمت حاجة الأسرة إلى السلام وضيقها بالنزاع الدائم والقلق المتصل . ولكن كان فى الرجال بقاة لم يكن للنساء بهم من عاصم . وإنى فى هذا العصر الحاضر ، وعلى الثقافة المنتشرة فى الناس بين رجال ونساء، لا أكاد أتصور رجلا مثقفا، تأتيه زوجته ، وهى امرأة مثقفة ، تقول له بينى وبينك خلاف خطير ، لا أرضى لك أن تكون فيه خصما وحكما ، فأنا أطلب حكم الله فيه على أيدى قضاة من قضاة الله ، فى محكمة من محاكم الله ، لا أستطيع أن أتصور رجلا تأتيه امرأة تقول له هذا ويقول : لا . وذلك أكبر ما تطلبه المرأة من مساواة

وتطلب المرأة المساواة السياسية ، وتطلب أن يكون لها صوت كصوت أكثر نساء الغرب ، فيقال لها إنك لا تفقهين فى السياسة . وينسى القائلون أن السياسة سياسة دولة ، فهى إلى جانب أنها سياسة حكم ، هى سياسة مال ، وسياسة مجتمع ، وسياسة أسرة ، وسياسة ضرائب أكثر من يشقى بها المرأة ، فلابد أن تقول فيها وأن تقول سديدا . ثم كم من الرجال يفهم تلك السياسة التى يريدها القائلون بحرمان المرأة. إن حقوق الناس فيما يتصل بالسياسة على أوسع معانيها يجب أن يكون مناطها ، لا أن هذا ذكر وتلك أنثى ، ولكن إن هذا أو هذه يعقلان أو لا يعقلان ، وكم حظهما من جهل ومن عرفان

وتطلب المرأة المساواة فى العمل . وعمل المرأة لا شك فى البيت . وهكذا هى الكثرة الكبرى من نساء الغرب . إن المرأة لا تستطيع أن تلد وتربى أطفالها وتكسب خبزهم فى وقت واحد إلا أن تضطرها الضرورات . والذى دفع بنساء الغرب أن تعمل كما يعمل الرجل إنما هى الضرورة وقسوة العيش . إن المرأة العانس التى لا رزق لها إنما تأكل من عملها أو تأكل بثديها أو بغير ذلك ، وليس من حق أحد أن يقول لها لا تعملى إلا أن يضمن لها رزق الحياة . والقول عندى أن تفتح أبواب العمل للنساء جميعا ، ليأخذ كل من الأعمال ما يصلح له ، وعندئذ تعمل قوانين الحياة عملها فلا يكون منها إلا الخير . إن الذى يغرى النساء بدق الأبواب ، ودقها عنيفا، أن الأبواب مغلقة. وللنساء فى جبلتهن ما يكفى لرد الكثرة الكبرى منهن إلى وظائفهن الأولى التى تخصصن لها فى الحياة ، تلك إيجاد الحياة فى ظل الحب ورعرعتها من بعد إيجاد ، وإسكان هذه الأرض

وكان من مساواة الرجل بالمرأة فى الغرب ؛ أن وجدت المرأة نفسها تهدر من الحرمات ما أهدر الرجل ، وهى مساواة فى سبيل الشيطان لا يرضاها إنسان، ولكن رضيها الغرب لشدة إحساسه بمعنى العدالة والمساواة حتى فى القبيح الأقبح من الأمور؟

المساواة فى فرص العيش

ومن المساواة: المساواة فى فرص العيش وطلب الأرزاق، وقد نسمى هذه الديمقراطية بالاقتصادية. وللمدنية الحاضرة فيها أساليب عدة. منها الرأسمالية ومنها الاشتراكية وهى صنوف. ومنها الشيوعية. أما الشيوعية فلسنا ندريها، ومن أجل هذا نتجنبها. وأما الرأسمالية فشر إذا ما تركت فى أيدى فئات من رجال لا يحركهم بحكم الطبع إلا الأثرة وإلا الهوى . وإلا الرغبة فى زيادة المال أضعافا . وزيادة ما يأتى به من جبروت . ويصنع منهم موقفهم من مناهضة الشعب عصابة تقوم فيه، تبيع حقوقه وتشترى وهى بعيدة عن ريبة الشعب لأنها بعضه ، وهى ترضى دائما أن تختفى وراء الحاكمين ، ما بقيت فى أيديها مقاليد الأمور . وهؤلاء إن كانوا شرا على أممهم ، فشرهم على علاقات ما بين الأمم أكبر

ولكن الرأسمالية غير ذلك إذا كانت رأسمالية شعوب ، وكان لكل فرد من أفراد الأمة فيها نصيب. يعملون جميعا للانتاج، ويقفون جميعا صفا واحدا عند التقسيم . فهذه هى الاشتراكية وإليها يجب أن يتجه الفكر العربى ، وأن يتمسك بها مبدأ . أما إنفاذها فدونه الجهاد المر الطويل

المساواة فى التعليم وفرصه

ومن المساواة التى ابتدعتها المدنية الحاضرة ، المساواة فى التعليم وفرصه . بل هى جعلت التعليم إجبارا لبضع سنين . وسمته إلزاميا ، وسمته أوليا . والتعليم على الإجبار لا يكون إلا مجانا ، فجعلته مجانا

وكان التعليم قبل ذلك فى سائر الأمم ، وفى سائر الدنيات وعلى القرون ، مقصورا على فئة قليلة من الناس . ثم أراد الله

بهذه الفكرة الجديدة ؛ فكرة نشر التعليم وتعميمه ، أراد لها أن تنبت فى الغرب من أوربا ، عند انشقاق الكنيسة . رأى المنشقون – البروتستانت – أن خلاص الشعب الدينى لا يكون إلا بالوصل المباشر بينهم وبين الله عن طريق إنجيله . وإذن لابد من القراءة . وإذن لابد من التعليم ، فأخذوا ينشرون التعليم وعن طريقه يبشرون . وقام الكاثوليك يعارضون نشرا بنشر وتبشيرا بتبشير ، وفتح مدارس بفتح مدارس . وتألف اليسوعيون جماعات كان لها فى هذا الميدان بأس شديد . وجاءت الديمقراطية فرأت أن تنشر التعليم ، كما رأت الكنيسة بشقيها ، ولكن لغير تلك الأسباب . رأت الكنيسة نشر التعليم بين الشعوب ليكون سبيلهم إلى السماء أهدى ؛ ورأت الديمقراطية نشر التعليم لتكون الهداية على هذه الأرض . وتنازع الطرفان أمر التعليم . تنازعته الكنيسة والدولة . وغلبت الدولة آخر الأمر

وجاء القرن التاسع عشر ، واكتمل ، فإذا التعليم قد عم فى أكثر الأمم الناهضة

ولا أظن أن أحدا يريد أن يسألنى ما موقف الفكر العربى من هذا الكسب الجديد من مكاسب المدنية الحاضرة

إنه ليس دليل على حاجة الشرق العربى إلى التعليم ، يكون إلزاميا ، ويكون عاما ، كمحاربة المستعمرين له فى كل أمة يستعمرونها . ودليل آخر ، محاربة الرجعيين له ، والمستحوذين على السلطان من كل نوع ، فى الأمة الواحدة . إن ذوى السلطان إذا لم يعصمهم الله يخشون الشعوب ، ويخشونها متعلمة . وهم يحاربون التعليم علانية ، إن استطاعوا ، ولكن أكثرهم يحاربونه خفية . وأنظر لبعض الأمم العربية لأرى كم بها من تعليم فلا أكاد أجد شيئا . وأنظر لبعضها الآخر لأرى من أى وقت فى التعليم بدأت ، وإلى أى شئ قد انتهت ، فأقف وأعجب . إن التعليم قد يتخذ فى تخذيله أحسن الدعوات ، ومن هذه الدعوة إلى الروية ، فإلى البطء ، لأن بغيرهما لا يكون إحسان . إن شر ما يخشاه الرجعيون ، وأهل السلطان ، من التعليم ، أن المتعلم يأبى الجوع ، ويأبى العرى ، ويأبى العمل إلا مأجورا حسن الأجر . وتتفتح عينه بالذى يصيبها من نور وتتفتح نفسه للطيبات

إن التعليم عندى مفتاح كل مغلق من مغالق الحياة ، فى شرقنا هذا العربى . ولو أنى خيرت بين أشياء كثيرة يعطاها العرب ، ما اخترت المال ، ولا اخترت الاستقلال ، وإنما أختار التعليم يشمل ويعم ، فهو الوسيلة إلى المال ، وهو الوسيلة إلى الاستقلال ، وهو الوسيلة إلى فتح كل باب مغلق يتدفق منه الخير كثيرا وفيرا

المدنية وشئون من الحياة أخرى :

بقيت أشياء أخرى من أشياء هذه المدنية الحاضرة ، تتعلق بأسلوب العيش : أسلوب الغذاء ، وأسلوب الكساء ، وما شا كل ذلك . فهذه أشياء لا تقدم كثيرا ، ولا تؤخر كثيرا ، وللعربى أن يأخذ منها أو يدع . وأشياء أخرى تتعلق بالطباع والعادات وهذه ما لا تستطيع المدنية أن تفعل فيه شيئا

معارضة المدنية الحاضرة :

هذه هى المدنية الحاضرة ، وهذه أصولها . هذه هى المدنية التى أكره أن أسميها غربية ، لأنها مدنية إنسانية ، هدفت ، لا إلى إسعاد غرب دون شرق ، ولكن إلى إسعاد الإنسان أينما كان . وهدفت إلى تعريف حقوق الفرد والجماعات ، وإلى تبيين الحقوق والواجبات ، فى أى قوم وبأى أرض . وهى مدنية ، رغم بدء نشأتها فى الغرب ، لم تصطبغ كثيرا بصبغة دينها الغالب . وأكثر مفكريها ، السابقون فيها واللاحقون ، وقفوا بعيدا عن الدين ، تعمدا وقصدا ، وهم يفكرون

والمدنية الحاضرة ، ككل المدنيات ، لها محاسن ومقابح . وقد تركزت على محاسنها ، وتركت القبيح . لأن القبيح قبيح فى كل فكر وكل عصر ، وقد تتسم المدنيه بقبيح لا ترضاه ، ولكنه

تملق بأذيالها لحملته منها فيما تحمل من طبائع الناس

ومن أهل الشرق من يتصلب عوده تعصبا كلما سمع بالمدنيـة الغربية . وحق له أن يتعصب ؛ لأن الشرق شقى بالغرب أكبر شقاء ولا يزال يشقى . وسوف يشقى

ولـكن الشرق إن شقى بأهل الغرب ، فهو لم يشق بمدنيتهم إنه شقى بالذى فى طبائع أبناء آدم من أثرة ومن ظلم ومن إجحاف وأحيانا من سفه وغباء . وهو قد شقى بمثل هذه الطبائع فى عقر داره ، ومن أهله وعشيرته وأهل السلطان فيه ، فكيف بالغرباء .

والشرق ينسى أن هذه المدنية تجربة يمتحن بها أهلها كما يمتحن مقتبسوها ، وأن أهل الغرب فى محنة منها ؛ بالذى تأتى به من ضائقات وأزمات ، ومن حروب ؛ لأنها مدنية لم تبلغ بعد الغاية منهـا ، وبعض أهدافها قد تحقق ، وسائر أهدافها ينتظر التحقيق

ومن أهل الشرق من تبلغ به كراهة الغرب إلى حـد أن يرى أن يقاوم الغرب ، لا ظلمه واجحافه ، واستبداده واستعباده ، ولـكن أن يقاومه كذلك فكرة ومدنية . وهيهات . إن المدنيات القديمة أخذ بعضها من بعض ، إذا تمادلا قوة ، وقام بعضها على أنقاض بعض . ولم يكن فى تلك الأزمان من تقـارب الناس واتصالهم كما بين أهل الأرض اليوم من قرب اتصال . إن الطائرة وهى تطوف حول الأرض اليوم ، تكاد تجارى الشمس سرعة التفاف حول الأرض فكيف يقاوم الشرق العربى ، على ضعفه ، مدنية عارمة واقعة تحت عينيه وعند سمعه ، وأخبارها أسرع إليه من بعض أخبار قومه

وما لى أقول فى هذا ، والواقع يقول عنى فيغنى ؟

أليست المدنية قد وصلت إلى أبعد ما خال المرء أن تصل ، إلى الصحراء . ألا يوجد فى صحارى العرب اليوم بقاع تحلها ، فتحسب أنك حللت بحلولها من المـدنية فى الصميم ؟ وفى المدن ، فى بعضها ، ألست تلقى المرأة محجبة من قمة رأسهـا إلى قدمها ، تنظر إلى الدنيا من ثقوب ، فإذا خلعت ذاك الحجاب تجلت لك من تحته آخر أزياء باريس ؟ وفى مدن الشرق العامة ، هل تركت هذه المدن شيئا من المدنية لم تأخذه منها ، من أسلوب بناء ، إلى نظام مصارف ، إلى برامج مدارس ، إلى قوانين حكم ؟

إن المدنية الحـاضرة فيض غمر لا يقف فى سبيله شئ إلا اقتلعه واست أقول هـذا عن تخـاذل ، ولا أقوله عن تسليم ، ولـكن أقوله لأننى أرى أن أية مقاومة مجهود ضائع ، لا يكون منه إلا تأخـير اليوم الذى ينتفع فيه الشرق بمـا أنتج الغرب ، لا من مدنية غربية ، ولـكن من مدنية إنسانية عالية أساسها تحرر الفكر الإنسـانى من قيوده ، وغايتها رفاهيـة الإنسان وإسعـاده . وليس بها مالا يمكن تأليفه ومطالب الشرق ودينه وعاداته . والمقـاومة يكون بديلا منها المساهمة . المساهمة فى تخطيط طرق الحياة لأجيال من الناس مقبلة

احمد زكى

٧ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دماء ودماء :

اتسم طابع الاحتلال البريطاني منذ دخول الانجليز مصر بميل البريطانيين إلى سفك دماء المصريين

فني دنشواى ١٩٠٦ أعدم المصريون شنقا في وسط قريتهم دنشواى

وفي ١٩١٩ جرت دماء المصريين أنهارا . لماذا ؟ لأن المصريين طالبوا بالغاء الحماية وإعلان استقلالهم

وفي ١٧ ، ١٨ نوفبر الحالي سفك البريطانيون دماء المصريين في بجزرة الاسماعيلية ، وإليك البيان :

من ١٥ - ٢٢ نوفمبر ١٩٥١ :

في ١٥ نوفبر افتتح جلالة الملك فاروق ملك مصر والسودان الدورة الثالثة للهيئة النيابية العاشرة ، وألقى رفعة مصطفى النحاس باشا خطاب العرش الذي جاء فيه أن مصر قد ألغت معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي ١٨٩٩ بعد أن ضاقت ذرعا بالمفاوضات مع بريطانيا، وأن انجلترا بدلا من أن تسلم بالأمر الواقع « آثرت العنف والاتجاه إلى القوة الغاشمة. وقد صمدت الحكومة والشعب لهذا العدوان ولن تتراجع حكومتي عن خطتها ... ولن تلين لها قناة تحت أي ضغط أو إكراه . »

وقد تفضل جلالة الملك فوجه إلى أعضاء لجنة الاستقبال البرلمانية عند تشرفهم بالمقابلة الملكية النطق الملكي الكريم :

« إن البلاد تمر الآن بمرحلة شبيهة بمرحلة ١٩١٩ ، إن لم تكن أشد منها وأكبر ، وسنجتازها بأذن الله وتوفيقه بسلام وإني لأهنئكم بهذا النضال ، واعلموا أنه بالنضال وحده تنضج الأمم وتصل إلى المستوى اللائق بها

وإني أوصيكم بضم الصفوف ، وتوحيد الجهود ، وأضع يدي في يدكم أفرادا وجماعات ، وأؤيد كل من يعمل لمصلحة الوطن . إننا نقف صفا واحدا في بيوت الله فلا معنى لأن نتفرق خارجها

وفقكم الله لما فيه الخير ، وأسبغ من رحمته على من استشهد من أبناء الوطن في هذا الكفاح ، والجنة للمستشهدين . »

وهكذا وقفت مصر ملكا وشعبا تناضل في سبيل حريتها وهي لا بد بالغة ما تريد إن شاء الله

وفي يوم الجمعة ١٦ نوفبر وقف معالي الوطني المعظم الدكتور محمد صلاح الدين باشا يتحدث في الجمعية العامة للأمم المتحدة ففضح سياسة الانجليز في وادي النيل وكشف مناوراتهم الخبيثة لإطالة احتلالهم لمصر وفصل السودان عن مصر وندد بالوحشية والفظائع التي ارتكبها الانجليز في منطقة القنال ووصفها قائلا إنها « عدوان همجي مخجل من المملكة المتحدة، وخرق صارخ للسلم العالمي والأمن الدولي ، وامتهان بالغ لمبادئ الميثاق وأهدافه السامية . »

وانتقل إلى الحديث عن السودان وتحدى الانجليز أن يخرج المصريون والانجليز من السودان ثم يجرى فيه استفتاء حر على يد هيئة الأمم المتحدة وأشار إلى مندوبهم كمن يقول « اقبلوا هذا التحدي إن كنتم مخلصين . »

وأسقط في يد الانجليز فحاولوا منعه من الكلام فلم يستطيعوا كما لم يستطيعوا على بيانه تعقيبا

وفي يوم السبت ١٧ نوفبر جاء الرد الانجليزي على مصر ووزير خارجيتها : ففي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم انتشرت فجأة عدة دوريات مسلحة في مختلف أرجاء مدينة الاسماعيلية ثم بدأت تطلق نيرانها في وقت واحد فقلبت أمن المدينة جحيما مستعر النيران؛ ولم يميز الانجليز في هذا بين المدنيين وبين رجال البوليس فسقط من الشهداء كثيرون

وفى يوم الأحد ١٨ نوفبر عاود الأنجليز هجومهم الوحشى على المدينة وبالغوا فى إجرامهم إلى أبعد مدى يستطيع العقل البشرى أن يتصور فظاعته ، فقد ظلوا يطلقون النيران على المدينة من الساعة الثالثة مساء حتى الساعة العاشرة

وفى هذه المجزرة استشهد عشر مواطنين : خمس من المدنيين وخمس من الجنود وجرح سبعة وعشرون

وقد فقد الانجليز ضابطين وسبعة جنود وجرح أكثر من ثلاثين جنديا . ولكن أكثر من هذا : لقد اشتركت مدمرة بريطانية فى ضرب الاسماعيلية وشاء ربك أن تسقط القنابل فى معسكر انجليزى وتفتك بجنوده. ويتكتم الانجليز أنباء عدد القتلى منهم ولكن فى كل يوم يعثر على جثث طافية لهم فى ترعة الاسماعيلية وفى بحيرة التمساح

وفى مساء الاثنين ١٩ نوفبر وقف إيدن وزير خارجية بريطانيا يتحدث فى مجلس العموم البريطانى فقال « إن القومية العدوانية أو التعصب الدينى أو الاثنين معا حاولا إثارة الحقد والكراهية والبغضاء بين فريقين كان ينبغى أن يكونا صديقين. نعم ينبغى أن تكون مصر صديقة لبريطانيا لأن بريطانيا تقتل كل يوم من المصريين من تستطيع وتهتك أعراض المصريين وتسلب أموالهم وحرياتهم وتعتدى على استقلالهم ووحدتهم . هذا هو منطق الانجليز !! وقال « إن بريطانيا على استعداد الآن لإعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ والاستعاضة عنها باتفاق مع الدول الأخرى لحماية قناة السويس. وكأنه يريد أن يقول إن سبع سنوات من المفاوضات لم تكن كافية لتعديل معاهدة ٣٦ البائدة ويريد فيريد أن يفرض حماية دولية على قناة السويس مع أن مصر قد ضاقت ذرعا بانجلترا وحدها

وقال « إذا أريد نجاح أية محادثات بين مصر وبريطانيا يجب الكف عن النشاط الإرهابى الموجه ضدنا فى منطقة القناة . فالموقف هناك لا شك خطير . » وكأنى به يريد أن يقول إن تبعة مجزرة الاسماعيلية تقع على عاتق المصريين إذ هى رد على اعتداءات الفدائيين. لا يامستر إيدن! إنها رد على صلاح الدين . ولكن اعلم أن مصر قد وقفت تناضل عن حريتها، ولن تضعف مهما ارتكبتم من إثم أو اقترفتم من جرم . إننا لا نريد احتلالا فاخرجوا من ديارنا وكفى

ووقف مستر موريسون وزير خارجية انجلترا السابق يؤيد إيدن ، انجليزى يؤيد انجليزيا ! أمر معروف ولن نعبأ بإيدن أو بموريسون

ويختم إيدن حديثه طالبا أن تعود ألمانيا وإيطاليا من جديد وأن تصبحا عضوين فى هيئة الأمم . هذا هو جزاء الانجليز للاعداء . أما مصر الصديقة فيقتل أبناؤها جزاء لها على صداقتها !

وإنى أحب أن أبعث بالتحية إلى الفدائيين من إخواننا فقد أقلقوا مضاجع الانجليز بأعمالهم الجريئة ، وبشجاعتهم وحسن حيلهم من استخدام القطط المشتعلة إلى إطلاق الثعابين والأفاعى

وفى ٢٠ نوفبر ١٩٥١ قدم الدكتور مصدق رئيس وزراء إيران وبطل تحريرها إلى مصر فاستقبلته مصر استقبالا حماسيا رائعا . ولا عجب فمصر شقيقة إيران وكلتاهما تناضل العدو المشترك بريطانيا

مارس ١٩١٩ :

رأينا كيف بدأت الثورة المصرية ثورة سلمية هدفها إلغاء الحماية وإعلان الاستقلال ، ولكن الإنجليز أبوا على المصريين حقهم المشروع فى الحرية والاستقلال وانطلقت قواتهم الغاشمة تعتدى على العزل الأبرياء وتسفك دماء الشهداء ، دون ذنب إلا إخلاصهم لوطنهم . وبلغ الجنون بالإنجليز أقصاه فانطلقوا يطلقون الرصاص على المصلين وهم خارجون من المشهد الحسينى بعد قضاء صلاة يوم الجمعة ١٤ مارس . وقد حسبوا أن تجمع المصلين مظاهرة ، ولكنهم فى عدوانهم هذا لم يميزوا أيضا بين رجل وامرأة فقتلوا بعض النساء

اضراب المحامين :

فى ١١ مارس أضرب المحامون عن العمل احتجاجا على

موقف انجلترا من مصر ومنعها للوفد من السفر والتجائها إلى سياسة الإرهاب والشدة إزاء المصريين وقبضها على زعماء مصر وطلبوا نقل أسمائهم إلى جدول غير المشتغلين

وقد وافق مجلس نقابة المحامين على قرار الإضراب ونفذ المحامون القرار في ١١ مارس ، وكان لهذا القرار أثر كبير في نجاح الثورة « فقد كان بمثابة دعوة عملية إلى طوائف الشعب للاضراب العام . »

وفي ١٥ مارس انضم المحامون الشرعيون إلى زملائهم وقرروا الإضراب أيضا. وتداقتحم المتظاهرون المحكمة الشرعية العليا وطلبوا إلى رئيسها أن يسير على رأس مظاهرتهم فقبل . وركب عربة جاء بها المتظاهرون، ولكن البوليس هاجم المتظاهرين وأصيب منهم اثنا عشر غلاما في أرجلهم

وفي هذا اليوم أيضا أضرب عمال عنابر السكة الحديد ببولاق ، وألفوا مظاهرة تأييدا للطلبة فوقفت حركة السكة الحديدية

وقد اضطرت الحكومة إزاء هذه الإضرابات أن تنشر جنودها في جميع أحياء القاهرة واضطرت إلى احتلال محطة القاهرة والعنابر والورش بحي السبتية

محاكم عسكرية :

أنشأت السلطة محاكم عسكرية في القاهرة أولا ثم في الأقاليم لسرعة البت في قضايا المظاهرات والمتظاهرين . وقد قضت هذه المحاكم بأحكام مختلفة على كثير من المتظاهرين وكان من بين أحكامها : الحكم على حسن عبد الباقي التمرجي بجنيه غرامة أو السجن أحد عشر يوما لأنه مزق ، منشورا للسلطة العسكرية !

مظاهرة السيدات :

أبت المرأة المصرية أن تترك الرجل المصري ينفرد بشرف الجهاد ، ولهذا الغرض اجتمع عدد كبير من فضليات السيدات والآنسات في يوم الأحد ١٦ مارس وخرجن في مظاهرة كبرى سارت في شوارع العاصمة تنادي بالحرية والاستقلال لمصر ، وبسقوط الحماية والظلم والاستبداد ، والاحتجاج على ما أصاب الأبرياء من القتل والتعذيب

وقد أخذت المتظاهرات يطفن في حشمة ووقار بدور معتمدي الدول الأجانب ويقدمن إليهم منشورا :

« جناب المتمد :

يرفع هذا لجنابكم السيدات المصريات أمهات وأخوات وزوجات من ذهبوا ضحية المطامع البريطانية ، يحتججن على الأعمال الوحشية التي قوبلت بها الأمة المصرية الهادئة لا لذنب ارتكبته سوى المطالبة بحرية البلاد واستقلالها تطبيقا للمبادئ التي فاه بها الدكتور ولسن وقبلتها جميع الدول محاربة كانت أو محايدة

تقدم لجنابكم هذا ونرجو أن ترفعوه لدولتكم المبجلة لأنها أخذت على عاتقها تنفيذ المبادئ المذكورة والعمل عليها، ونرجوكم إبلاغها ما رأيتموه وما شاهده رعاياكم المحترمون من أعمال الوحشية وإطلاق الرصاص على الأبناء والأطفال والأولاد والرجال العزل من السلاح لمجرد احتجاجهم بطريق المظاهرات السلمية على منع المصريين من السفر للخارج لعرض قضيتهم على مؤتمر السلام أسوة بباقي الأمم وتنفيذا للمبادئ التي اتخذت أساسا للصلح العام ، ولأنهم يحتجون أيضا على اعتقال بعض رجالهم وتسفيرهم إلى جزيرة مالطة

لنا الأمل يا جناب المعتمد أن يحل طلبنا هذا نحن السيدات المصريات محل القبول ولا زلتم عونا لنصرة الحق مؤيدين لمبادئ الحرية والسلام . »

وقد أثار منظر السيدات والآنسات في المظاهرة الحماسية في النفوس ووقفت الناس على جوانب الطرق يحيون المتظاهرات وشاركتهن زميلاتهن بالزغاريد من داخل المنازل فأحفظ ذلك الإنجليز وأخذوا يتعرضون لهؤلاء السيدات. وحينما وصل الموكب

إلى شارع سعد زغلول ووجهته « بيت الأمة » ضرب الإنجليز نطاقا حول المتظاهرات ومنعوهن من مواصلة السير وصوبوا بنادقهم نحو صدورهن ، ومع هـذا فإن المتظاهرات لم يرهبن التهديد وتقدمت إحداهن وقالت لجنـدى شهر عليها بندقيته : « نحن لا نهاب الموت ، أطلق بندقيتك فى صدرى لتجعلوا فى مصر مس كافل (١) ثانية . »

قالت هذه العبارة بالفرنسية ففهمها الضابط فخجل وتنحى لهن عن الطريق بعـد أن وقفن فى حرارة الشمس أكثر من ساعتين

وقد كتب المتظاهرات احتجاجا ثانيا على هـذه المعاملة ورفعوه مع الاحتجاج الأول إلى معتمدى الدول الأجنبية . ولقد كان منظر الجند المدججين بالسلاح وهم يتعرضون للسيدات الكرام مدعاة إلى احتقارهم

وقد حيا شاعر النيل حافظ بك ابرهيم مظاهرة السيدات فى قصيدة رائعة :

خرج الغواني يحتججـــن ورحت أرقب جمعهنه
فإذا بهن تخذن من سود الثياب شعارهنه
فطلعن مثـل كواكب يسطعن فى وسط الدجنه
وأخذن يجتزن الطريق ودار سعـد قصدهنه
يمشين فى كنف الوقا ر وقد أبن شعورهنه
وإذا بجيش مقبـل والخيـل مطلقة الأعنه
وإذا الجنود سيوفها قد صوبت لنحورهنه
وإذا المدافع والبنـا دق والصوارم والأسنه
والخيل والفرسان قد ضربت نطاقا حولهنه
والورد والريحان فى ذاك النهـار سلاحهنه
فتطاحن الجيشان سا عات تشيب لهـا الأجنه
فتضعضع النسوان والنسوان ليس لهن منه
ثم انهزمن مشتتات الشمـــل نحو قصورهنه

٥ ٥ ٥

فليهنأ الجيش الفخو ر بنصره وبكسرهنه
فـكأنما الألمـان قد لبسوا البراقع بينهنه
وأتوا بهندنبرج مختــفيا بمصر يقودهنه
فلذاك خافوا بأسهن وأشفقوا من كيدهنه

ابو الفتوح عطيفة

(١) ممرضة انجليزية أسرها الألمان وأعدموها وكان لقتلها ضجة كبيرة فى العالم

موازنة وتحليل :

بين شوقي وولي الدين يكن

سقوط عبد الحميد

للأستاذ محمد رجب البيومي

بين شوقي وولي الدين مشابه كثيرة ، فكلا الرجلين زكي الأصل ، وكلاهما نشأ في ظلال الترف والنعمة ، وذللت دونه طرق المجد والجاه ، فاتصل بالأسرة الحاكمة ، وتقلب في المناصب المرموقة. وكلاهما شاعر مبدع يصوغ القلائد الساحرة ، ويصرف أعنة البيان حيث يريد . وكلاهما يتنقل به هواه فوق ضفاف البسفور ، وعلى شواطئ النيل ، فأنت تسمع لهما الروائع البدعة في وصف الآستانة ، كما تقرأ لهما الحنين الدائب إلى مطارح النيل ، حيث قدر لهما أن ينزحا عن القاهرة مغتربين ، ذاك إلى الأندلس ، وهذا إلى سيواس ، وفي غياهب المنفى السحيق تتأجج العاطفة ، ويجيش الخاطر بالروعة والإبداع

ورغم هذه المشابه العديدة فقد افترق الشاعران في وجهة نظريهما إلى السلطان عبد الحميد افتراقاً شاسعاً ، وقد وجد كلاهما من ظروف حياته ، وطبيعة شخصيته ، ما يدفع به إلى التمسك برأيه والدفاع عنه بما يملك من بيان . وقد كان لعبد الحميد في كثير من الأذهان صور متناقضة متضاربة ، فهو — من ناحية — أمير المؤمنين الرسمي ، وقائد الإسلام الرمزي ، وظل الله في أرضه ، وخليفته في تنفيذ أوامره وتحريم نواهيه ! وهو — من ناحية ثانية — طاغية مستبد ، يعذب الأبرياء ، ويغتال النصحاء ، وينصب الدسائس والشباك ، ويجمع الحور والغانيات في قصوره المترفة الناعمة ، ويصل إلى أهوائه الجامحة في طريق من الأشلاء والدماء ! وتلك أمور تدعو إلى الثورة وتدفع إلى العصيان ، فانطلقت الألسنة بالعراق والشام ومصر تندد بغيه وعدوانه ، وقام الزهاوي والرصافي وولي الدين بتجريحه وهجوه ، فأظهروا للملأ فضائحه ومثالبه . ومن المدهش الغريب أن يقوم إلى جانب هؤلاء الثائرين شعراء مبدعون يكيلون المدح كيلا للسلطان الجائر ، ويرسلون القصائد الرنانة تلهج بالثناء عليه ، وتحيل ظلماته الدامسة إلى نهار ضاح ! وأنت تسأل عن سبب ذلك فتجد هؤلاء المادحين يهيمون بالوحدة الإسلامية ، ويخافون أن تتصدع الخلافة بمهاجمة السلطان ، فتتفرق كلمة المسلمين ، ويصبحون طعاما سائغا للمتربصين من الأعداء . وخير عندهم أن يتغاضوا عن أعمال هذا الطاغية ، من أن تدور الدوائر على الكلمة الجامعة والشمل المتماسك ، فتنحدر الخلافة إلى المهوى السحيق ! هذا ما كان يعتقده محرم والكاشف والرافعي وحافظ والقاياتي وغيرهم ممن أطالوا الباطل حقا بمدائحهم المموهة ، ووقفوا من ولي الدين وشيعته على طرفي نقيض !

وقد كان أمير الشعراء مدفوعا إلى مدح السلطان الجائر بهذا الدافع من ناحية ، وبدافع أقوى منه من ناحية أخرى ، فهو شاعر القصر ، وترجمان البلاط الخديوي ، يأتمر بأمره ، وينطق بلسانه . وكان النفور القائم بين الاحتلال الإنجليزي ، والخديوي الشاب يدفع الباب العالي بالآستانة إلى العطف على عباس وتحبيذه ، كما يدفع الأمير الغيور إلى الاعتزاز بالسلطان والتطلع إليه . وطبيعي أن يعبر شوقي عن ذلك بمدائحه المسهبة في كل مناسبة تحين ، وتمضي هذه القصائد إلى أسماع عبد الحميد فتأخذ مكانها من نفسه ، وتميل به إلى الشاعر المادح ، فإذا زار شوقي الآستانة نزل ضيفا على السلطان ، ونال من الحفاوة والتجلة ما يضاعف حبه وينمي إخلاصه ، فيشدو بعظمة عبد الحميد ، ويطلق لخياله العنان في تهنئته ومدحه ! مع أن فظائعه الدامية لا تطاق بحال !

هذا الوضع السياسي الذي جذب شوقيا إلى ساحة عبد الحميد ، قد قابله وضع مضاد لولي الدين ، حيث أتيح للشاعر أن يمكث مدة غير قصيرة بالآستانة ، فرأى بعينه ما يسمعه الناس

من فظائع السلطان ، وشاهد الظلم والدسيسة والخيانة فى أبشع صورها ، فلم يطق صبرا على ما شاهد بعينه ولمس بيده ، فرجع إلى القاهرة وأنشأ جريدة الاستقامة ، وأعلن الثورة على السلطان فى جبروته ، ورسم بقلمه المؤثر صورا حزينة للضحايا الأبرياء الذين تجرعوا الغصص القاتلة بالأستانة ، فأصبح من أعلام المعارضين للسياسة العثمانية . وقد حوربت جريدته محاربة شديدة ، وتصدى لها الحكام والولاة تصديا ماحقا ، حتى لم تعد تصل إلى قرائها فى مختلف الأمصار . ورأى الشاعر من الحزم أن يقطع صدورها ، ولكنه لم يغمد قلمه بل شهره فى الصحف اليومية التى تميل إلى رأيه ، وجعل من جريدتى المقطم والمشير منبرا يذيع حملاته من فوقه . وشاءت السياسة العثمانية أن ترشوه كغيره من المعارضين ، فعين عضوا بمجلس المعارف الأعلى فى الاستانة . وكان الظن به أن يقنع بمنصبه الساحر ، ولكن واصل الهجوم العنيف دون مبالاة ، فصدر الأمر بنفيه إلى سيواس ! وقضى سبع سنوات فى مكان موحش مقفر ، لا يرى غير الغيوم والصخور والأمطار والهضاب . وكلما اشتعل الغيظ فى صدره أرسل قريضه مندوا هاجيا ، ولم يذق طعم الراحة حتى صدر الدستور العثمانى ثم عزل السلطان بعد ذلك فهوى إلى الحضيض !

هذه عجالة تاريخية توضح لنا البواعث التى حدت بشوقى وصاحبه إلى موقفهما المختلف من السياسة العثمانية . والباحث المنصف يعجب كل الإعجاب بيسالة ولى الدين وشجاعته ، فهو لم يشأ أن يذعن للباطل فى أمر مهما قبض الثمن غاليا ، وكان يغيظه من شوقى أن يبالغ فى مدائحه مبالغة تدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فهو يعلم تمام العلم ما يجرى بالاستانة من محن ونكبات ، ولكنه لا يقتصر على الثناء الرسمى والدعاء بالتوفيق والهداية كما يفعل مادحو السلطان ، بل يزعم أنه أعاد سيرة الفاروق ، وأنه كلل البائسين والأيتام بتاج من عطفه وإخلاصه ، وأن الخصب والنماء والنعم هبات تتناثر من كفه ، بل إن البيت العتيق ليشكر ربه من أجله ، وعرفات يسعى هاتفا به ، وأن الرسول يهنأ فى قبره بحياته ، فهى حياة الدين واليتامى والمساكين ؛ إلى غير ذلك مما يراجعه القارئ فى الشوقيات !

وبعد جهاد متواصل كادح من الشعب والجيش كان ما لا بد أن يكون ، فقد حاق المكر السيئ بأهله ؛ ودارت على الباغى الدوائر ، وتقدمت الجيوش زاحفة إلى « يلدز » فسقط السلطان من عليائه ، ونزل الجبار عن عرشه . وطار الخبر إلى ولى الدين فصفق شعره فى خاطره ، ونظم قصيدة شامتة يذكر فيها السعادة الذاهبة ، والمجد البائد ، ويتصور الأسير المهيض وقد كبل بالأغلال وتجرع غصص الحرمان متيقظا ، فإذا أغفت عينه نغصته الأحلام بأطياف خاطفة للملك الزائل ، وبدره الآفل ! إنه ليقول فى تشف ساخر وتهكم مرير :

عزاء أيها الشاكى الرعايا ... ولا تجزع فخالقهم تلاكا
حرمت كراك أعواما طوالا ... وليتك بعد ذا تلقى كراكا
تفارقك السعادة لا لعود ... وقد عاشت خطاها فى خطاكا
فدع صرحا أقمت به زمانا ... وقل يا قصر لست لمن بناكا
نعم عبد الحميد اندب زمانا ... تولى ليس يحمده سواكا
تولى بين أبكار حسان ... تعلق فى غدائرها نهاكا
جعلت فداءها الدنيا جميعا ... ولو ملكتها جعلت فداكا
وطال سراك فى ليل التصابى ... وقد أصبحت لم تحمد سراكا
ستحيا فى سلانيك زمانا ... ستحصد فيه عن بعد أخاكا
وتعلم أن ملكا ترتضيه ... ولعت به ، ولكن ما ارتضاكا
فإن زار الكرى عينيك ليلا ... وعادك تحت طيته أساكا
تمثل فى المنام لديك ناس ... تخبر عن دمائهمو يداكا
رماهم بالأفول دجاك لما ... تبدوا كالكواكب فى دجاكا

وتمضى القصيدة إلى قراء العربية ومعها أخوات قالها الأحرار من الشعراء فى شتى بقاع العالم الإسلامى ، فتعبر من السرور الدافق وتنطق بما تكن المشاعر الساخطة على الأسير المعزول . ويجرف التيار بطوفانه الجائش جميع الشعراء ، فيستقبلون الخليفة الجديد مهنئين ويشيعون الراحل المستبد لاعنين معيرين ، ولكن شوقيا وحده يظهر الأسف على سقوط السلطان واندحاره ، ويفيض خاطره الحزين بقصيدته الشهيرة

« سل يلدزا ذات القصور » غير مستطيع أن يتنكب نغوته المتاعة ، بل ينسى الشعور العام فى العالم الإسلامى ويقول عن عبد الحميد :

خطب الإمام على النظيم يعز شرحا والنثير
شيخ الملوك وإن تضعضع فى الفؤاد وفى الضمير
نستغفر المولى له ! والله يعفو عن كثير
ونراه عند مصابه أولى يباك أو عذير
ونصونه ونجله بين الشماتة والنكير

ولكن ولى الدين لا يرضيه هذا الإغضاء الخاطئ ، ويخاف أن تجد قصيدة شوقى مكانها فى النفوس ، فتميل ببعض العواطف نحو السلطان الذاهب ، وتطفىء ما سطع من بريق الفرحة والابتهاج ، فيلجأ الشاعر إلى مناقضتها مناقضة حارة فى قصيدته التى مطلعها :

هاجتك خالية القصور وشجتك آفلة البدور

وقد وقف بها أمام شوقى وجها لوجه ، فدحض حججه ، وناقض أدلته ، وأفسح لنا مجال الموازنة والتحليل ، وكانا القصيدتين بعد ذلك تملان شعور قائلها واتجاهه ، وتصور تفكيره وأسلوبه ، وهأنذا أفصح عنهما بعض الإفصاح

* * *

بدأ أمير الشعراء قصيدته كما يبتدىء قصائد الرثاء والتأبين ، فهو يسأل يلدز من نيرانها الثواقب ، ويعلن عجزها عن الإجابة المقنعة ، فقد أناخ عليها الدهر كما أناخ — فى البعيد الغابر — على قصور النعمان بالحيرة ، فأصبح الخورنق والسدير أطلالا دارسة ، وكما أناخ — فى القريب الماثل — على الجزيرة وقصر إسماعيل فغاب عنهما الأنس والبهاء ! وروح الشاعر فى مطلع قصيدته هامسة كئيبة تملن عن ذاتها إذ تقول :

سل يلدزا ذات القصور هل جاءها نبأ البدور
لو تستطيع إجابة لبكتك بالدمع الغزير
أخنى عليها ما أناخ على الخورنق والسدير
ودها الجزيرة بعد إسماعيل والقصر الكبير
ذهب الجميع فلا القصور ترى ولا أهل القصور
فلك يدور سعوده ونحوسه بيد المدير !!

أما ولى الدين فيعجب لشوقى كيف تهيجه القصور الخالية من الأنيس ، وتشجيه البدور الآفلة بعد الطلوع ، وكيف يذكر أصحاب الترف والنعيم ، وينسى المقابر المليئة بالضحايا ، الآهلة بالأبرياء ، وكيف يسكب الدمع الغزير على طاغيه طالما أثار المدامع وأبكى القلوب ، ونهب الأموال، وبدد الضياع ! ويعلن أن دثور يلدز غنيمة كبرى للشعب الجريح ، فستأهل بعدها الدور الموحشة ، وستفىء المنازل الخربة ، ويحيا المذبون أعزة سعداء ! والقارىء يلمس صدق العاطفة ، وسلامة المنطق إذ يسمع وليا يقول :

هاجتك خالية القصور وشجتك آفلة البدور
وذكرت سكان الحمى ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغز ير لباعث الدمع الغزير
ولواهب المال الكثير وناهب المال الكثير
إن كان أخلى يلدزا مخلى الخورنق والسدير
فلتأهلن من بعدها آلاف أطلال ودور
بعض النجوم ثواقب والبعض دائمة السير

وكما بدأ البحترى قصيدته فى رثاء المتوكل بوصف قصره المنيف ، وما منى به من ذلة بعد عزة ، ثم انتقل إلى أوانس القصر وظبائه ، ومقاصره وستائره ، فكذلك ابتدأ شوقى قصيدته بتحدث عن القصور فى يلدز ثم ينتقل إلى غانياتها الساحرات ، والشوق سلاسة وعذوبة حين يتحدث عن هؤلاء المترفات من النعيم العاثرات من الدلال ، الناهيات الآمرات على الولاة ، الطيبات الأريج ، الذاهلات عن الزمان بما هن فيه من خفض ونعيم ، المشرفات على الممالك ، بين الشارف والرفارف والزخارف ! الآمنات فى مسكن فوق السماك بين المناقل والخيول والرماح وفوق غارات المغير ، أجل ! إن لشوقى براعة فى رسم هذه الصور الفاتنة الخلابة ، وإنها لتتجلى لعينيك حين

تسمعه يقول :

أين الأوانس فى ذراهـا ... من ملائكة وحور
الترِعات من النعيـم ... الراويات من السرور
العاثرات من الدلا ... ل الناهضات من الغرور
الآمرات على الولا ... ة الناهيات على «الصدور»
الناعمات الطيبـات ... العرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزما ... ن بنشوة العيش النضير
المشرفات وما انتقلن ... على الممالك والبحور
أمضى نفوذاً من «زبيدة» ... فى الإمارة والأمير
بين الرفارف والمشارف ... والزخارف والحرير
والدر مؤتلق السنا ... والمسك فواح العبير
فى مسكن فوق السماك ... وفوق غارات المغير
بين المعاقل والقنا ... والخيل والجم الغفير

وهؤلاء الآمرات الناهيات لا يقام لهن وزن فى منطق ولى الدين ، بل إنهن السبب فى نكبة السلطان ومحنته ، فقد صرفنه عن التعقل والتدبير ، واستلبن أموال الدولة فيما يطلبن من لآلى وعقود وحلى ! فعكف على أسرابهن الفاتنات يعتصر الخدود ، ويهتصر الخصور ، مستمدا من فتور عيونهن فتوراً فى همته وانكسارا فى عزيمته . . . كل ذلك وجيش الدولة ساغب جائع لا يجد ما يقيم أوده من العيش ، فأجناده صفر الوجوه ، خمص البطون ، يشكون المتربة والفاقة ، رغم مايمهد للحسان من أسباب الترف والنعيم ، فأى مغنم عاد على الدولة من هؤلاء الفاترات الناعسات ؟ وأى مغرم جلبنها على الرعية بما يستنزفن من أموال وثروات ! إن ولى الدين ليعكس صورتهن الخلابة فى مرآة شوق ، فتنقلب فى مرآته دميمة مقيتة ويصور جنايتهن الكبيرة إذ يقول

ضاعت عقود الملك ما ... بين الترائب والنحور
والشيخ بات فؤاده ... فى أسر ولدان وحور
ما زال معتصر الخدود ... هوى ومهتصر الخصور
وإذا انقضت ليـلاته ... وصلت بليلات الشرور
أهدى الفتور لقلبه ... مابا للواحظ من فتور
واستنفرته من الرما ... يا كل آنسة نفور
تختال من حلل الصبابة ... فى الدمقس وفى الحرير
والجند عارية مناكبها ... مقصمة الظهور
خمص البطون من الطوى ... دقت فعادت كالسيور
أن الزمان يغر ثم ... يذيق عاقبة الغرور

ثم ينتقل شوقى إلى مناجاة السلطان الأسير ، فيغمره بفيض من عطفه ومعذرته ، وكأنه ينظر إلى أفضاله عليه ، فيأبى أن يخصه بلوم أو تقريع ، فهو أرفع من أن يشمت فيه شامت ، وأولى أن تراق الدموع حزنا على سقوطه !! وإذا كان قد أسلف بعض الجرائر فالله يعفو عن كثير ، فلا داعى أن نطيل حسابه فى محنته المثيرة . وما كان عبد الحميد — فى رأى شوقى — إلا خليفة كالمنصور أو الرشيد فى سـالف العصر ، وهما قد حفظا جلال الملك ، وأبهة الخلافة ، وإن استبدا مثله بالأمر ، ولم يخضعا لدستور أو مشورة ، ثم لا يقتصر شوقى على ذلك بل يصف السلطان بالروية والأناة وحكمة العاقل الخبير ، أوأى حكمة تلك التى تبطش بالناس ، وتصب الدسائس وتستلب الأموال ! ويمعن أمير الشعراء فى وصف العظمة الغابرة ، والسلطان السالف ، كأنه يتعزى بذكراها عما أصاب سيده من سقوط ؛ فهو يقول

عبد الحميد حساب مثلك ... فى يد الله القدير
سدت الثلاثين الطوال ... ولسن بالحكم القصير
تنهى وتأمر ما بدا ... لك فى الصغير وفى الكبير
لا تستشيروا فى الحمى ... عدد الكواكب من مشير
كم سبحوا لك فى الروا ... ح وألهوك لدى البكور
خفضوا الرءوس ووتروا ... بالذل أقواس الظهور
ماذا دهاك من الأمو ... ر وأنت داهية الأمور
أين الروية والأنا ... ة وحكمة الشيخ الخبير
دخلوا السرير عليك ... يحتكمون فى رب السرير

أسـد هصور أنشب الأظفار فى أسـد هصور
قالوا اعتزل قلت اعــتزلت الحـكم لله القـدير
ضنوا بضـائع حقهم وضننت بالدنيـا الغرور

وهـذا منطق لا يعجب ولى الدين فى شئ ، فهو يرى السلطان أهلا للوم والتقريع ويجب أن ... الجزاء ما أسلف للناس من محن وأرزاء ، بل أنه ليذكره بالمجـد البائد تهكما وتشفيا ، ويعجب لغفلته وبلاهتـه ، وكيف صم أذنيه عن النصيحة ، وسدر فى غوايته مع أن الشيب قد وخط لحيته ورأسه وقضى من الزمن ما يتيح له العـبرة والعظة ، لو رزق قليلا من الحـكمة والروية .. ويصف المعركة الدامية التى انتهت بسقوطه وأسره ، ويضحك منه إذ ضرع أمام الجند ذليلا باكيا وأخذ يستجير بمن أعرض عنه ، حتى ذاق عاقبـة ختوره وغدره ، فسقط من عليائه دامى القيـد ، منحنى الظهر ، إلى حيث يقضى أيامه الأخيره فى محبسه الذليل !! وللقارئ أن يلمس هـذا كله من قول ولى الدين

وعظتك واعظة القتير ورأيت منقلب الدهور
وربيت فى مجد الأمـير ولم تمت موت الأمـير
لـا سلبت الحـكم قلت الحـكم لله القـــدير
ورآك جنـدك ضارعا لهمو ضراعات الأسـير
لقد استجرت بمعشر ما كنت فيهم بالمجـير
هى غارة لـكنهـا دارت على رأس المغـير
من ذا استشرت لها ولم تك فى الحيـاة بمستشير
لقـد استطرت بشر يومك كل شر مستطـير
وخترت ياعبـد الحميد وما استحيت من الختور
من عاش يستحلى الشرور يموت من تلك الشرور
إن الثلاثين التى مرت بنا مر العصور
وهبتك تجربة الأمو ر فعشت فى جهل الأمور
من كان يدعوك الخبير فلست عندى بالخبير

وقد كان مجال القول ضيقا أمام شوق فترك عبـد الحميد فى منتصف القصيدة ، ولجأ إلى تهنئة الخليفة الجديد باسم الاسـلام ومصر ، وأسهب فى مديح الجيش الذى أسقط السلطان منوهـا بأبطاله وكماته ، وقد يحس القـارئ شيئا من التناقص بين الناحيتين ، وذلك هين مقبول من شاعر مجـامل يودع راحلا أسيرا يمعن ما يجب فى رأيه من الإغضاء والتسامح !! والمجاملة فى بعض أحوالها توقع فى الحيرة والتناقض دون معابة أو مؤاخذة . على أن ولى الدين يؤاخذ شوقيا مؤاخذه عنيفة ، فهو — فى رأيه — يتحسر على المـال المبذول ، والخير الدرير . إذ يتحسر عن عبد الحميد ، وكان عليه أن يقدر فرحة العالم الإسلامي بسقوط الخليفة دون نظر إلى عواطفه الذاتيـة ! وكأنى بشوق وقد حز فى نفسه أن يعرض به ولى الدين أعنف تعريض إذ يقول

لـما أديل عن السر ير بكاه عبـاد السرير
نذروا النذور لعوده هيهات يرجع بالنذور
أسفـوا عليــه وإنمـا اسفوا على المـال الدرير
والبعض كان جريره فسابقيه على جرير (١)
طلبوا له عفو الغفور وشذ من عفو الغفور

وقد سكت شوقي عن هـذا التعريض المرير . إذ كان يلزم الصمت إزاء ما يوجه له دائما من تجريح ، وقد يكون السـكوت من ذهب فى بعض الأحوال .. وأظنه كذلك الآن

ونحن بعدما تقدم من العرض السريع نستطيع أن نحكم على القصيدتين معا بسلاسة الأسـلوب ، وغزارة المعانى ، وتنوع الأغراض ، واستقامة التعبير ؛ إلا أننا نلمس بين القصيدتين فوارق متعددة من عدة نواح

١ — فقصيدة شوق أشبه ما تكون بخطبة رسمية تلق فى حفل عام ، فقد اعتذر فيها أولا من الخليفـة السابق ، ومدح الجيش المنتصر ثانيا ثم هنأ السلطان الجديد بالخلافة ثالثا ، وأعلن اغتباط مصر والعالم الإسلامى به رابعا ،! وليس ذلك بمستغرب

١ ـ أثارة لقول شوق : أنا إن عجزت فان فى بردى أشعر من جرير

من شاعر يعبر عن روح القصر الخديوى ، ويتلق وحيه الشاعرى من الحاشية والبلاط . أما قصيدة ولى الدين فهى عرجمة أمنية لعواطفه ، وتصوير شامل لابتهاج المخلصين ، بزوال العهد الغاشم ، دون أن يتقيد فيها بوجهة نظر خاصة ، والشاعر الطليق يجد من اتساع المجال مالا يحده الرهن بالقيود والأثقال ...

٢ — كان شوق يسير على القتاد فى قصيدته فهو يدعو إلى التسامح والإغضاء عن مستبد جارم لا يعقل أن يتسامح معه الناس ويتلمس الأعذار لطاغية سقطت أعذاره ، وشاعت فى الملأ مثالبه ومخازيه . وطبيعى ألا يجد من الحجج ما يسعفه ويقوى دفاعه ، وعلى النقيض منه كان ولى الدين ممتلئ اليدين بأدلته وبراهينه ، هذا غير شعوره المبهج بانتصار آرائه ، وتحقيق آماله وأشواقه

٣ — بلغ شوق القمة حين تكلم عن الغانيات فى قصر الخليفة ، وما كان لهن من عظمة ودلال ، وما أسدل فوقهن من بهجة وبهاء ، ورسم ألواحا بديعة للسرور الزائل والنعيم السالف ، بينما بلغ ولى الدين القمة فى ناحية مضادة ، إذ استسلم لخواطره الحزينة فأسمعنا ألحانا مشجية تدمع على الضحايا الأبرياء ، والصرعى الشهداء ، وطاف بخياله على الأجساد الثاوية بين الجنادل والصخور ، والزهور المضرجة بدماء شبيبتها الزاهرة ، واليتامى البائسين من الصبية والأرامل . وإنه ليستنزل الدموع الحبيسة من المآق الشحيحة إذ يقول

لله أجساد ثوت بين الجنادل والصخور
كانت زهور شبيبة لهفى على تلك الزهور
سقيت مياه دمائها والروض رقراق الغدير
كم خلفها من صبية يتمت ومن شيخ كبير
يترقبون مآبها إن المآب إلى النشور
ومنعمات فى الخدو ر غوت حزنا فى الخدور
ترجو زيارة حبها نبت الزيارة بالمزور
لم يجدها نصح القبيل ولا نسات بالمشير
أودى الردى بنصيرها فغدت تعيش بلا نصير

لا بالشى تضيق من بث ولا عند البكور

وأنا أجد لهذه الأبيات وأشباهها فى قصيدة ولى الدين وقعا مريرا ، ولذعا داميا ، وجودة الشعر تتوقف على ما يثيره فى النفس من كوامن الأحاسيس ، وما يهيجه من حرق الوجدان

(أما بعد) فلقد كان لهاتين القصيدتين الخالدتين دوى ورنين ، عند نشرهما لأول مرة فى الصحف السيارة ، إذ قوبلتا بكثير من الاهتمام والاحتفال ، وتطلقت إليهما عقول المثقفين من الأدباء . وقد رأيت أن ألفت إليهما الأنظار من جديد . فجلوت هذه الصفحة من تاريخ غير بعيد ، ولله شوق إذ يقول ؛

وإذا فاتك التفات إلى الما ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

محمد رجب البيومى

المدرس بأبى تيج الثانوية

الأدب وطلقات المدافع

« إلى الصديق الأستاذ على متولى صلاح »

للشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ما كنت أحسب أن شهوة الكلام تبلغ عندصديق الأديب الرقيق الأستاذ علىمتولىصلاح حدا يحرف به الكلم عن مواضعه ويؤول قصيدتى « على طلقات المدافع » تأويلا يبعد بها عن المعنى الذى أريدت له وقصدت به

وأنا أشكر الأخ على هذا الدرس الذى ألقاه على فى عدد الرسالة الفائت ليدلنى على قيمة « الأدب » وخطره ورسالته فى هذا الوجود العجيب الذى نشهد فيه بأعيننا ونسمع نأبصارنا على مدى قريب صوت القوة العارمة وهى تكتسح الحق فى طريقها اكتساحا ... ثم لا نزال بعد ذلك نتملل بالألفاظ الفارغة ، ونستند إلى العبارات الجوف ، واهمين أو متوهمين أن ذلك هو طريق الكفاح لبلوغ الأهداف ، وبلوغ المطاف

وأشكر الأخ مرةأخرى لأنه نقل إلى فى كلمته الحماسية كلمات « هازلت » فى وصف الكلمات بأنها « أفعال ، فإذا تكلمت فقد فعلت » . ونقل إلى كلمات «سارتر» بأنها —أى الكلمات— أسلحة نارية مشحونة بالقذائف ، وأن الإنسان إذا تكلم فقد أطلق .. ونقل إلى — فوق ذلك — كلاما لبرنارد شو ، ولغير برنارد شو فى الموازنة بين السيف والقلم ...

وهى موازنة أخشى أن تكون موضوعا إنشائيا جيلا لطلاب المدارس ، تصول فيه أقلامهم النحيلة المزيلة ، وتجول حين يحلق الخيال بعيدا بعيدا ، مستسلما إلى لذائذ الأحلام ، الوشاة بتفويف الكلام ...

وهى موازنة — فوق سحر الخيال فيها — قد قال فيها أنصار منطق القوة كلمتهم حين نادى أبو تمام — منذ أكثر من ألف عام — برأيه المشهور :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

ولا يمنعنى هنا أن تكون الكتب هنا من تأليف الكرام الكاتبين ، أو من وضع السادة المنجمين . . .

على أن أبا تمام لم يغفل شأن «القلم» الذى جاءنا الأستاذ على متولى صلاح بنصوص منقولة عن « هازلت » و « سارتر » و « برنارد شو » ليدلنا على خطره ، وفتكه وشحنه بالقذائف . أو القنابل الصاروخية ، أو القنابل الذرية أو الهيدروجينية أو غير ذلك من آلات الدمار والهلاك ..

نعم ! لم يغفل الشاعر أبو تمام ، خطر القلم والكلام حين قال :

لك القلم الأعلى الذى بشباته ... تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعى القاتلات لعابه ... وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وأنا — شهد الله — لا أنكر خطر « الكلمة » وفعلها فى النفوس ، وأثرها فى العواطف ، وخطرها فى إثارة الانفعال ، بل فى زلزلة الجبال ..

أليست «الكلمة» هى من روح الله التى تجلت للجبل أمام موسى الكليم لجعلته دكا ، وخر موسى صعقا ؟

أليست « الكلمة » هى التى أوحت إلى النحل أن تسلك سبل ربها ذللا ، فتأكل من كل الثمرات ثم تلفظها شهدا شهيا فيه شفاء للناس ؟

فمن قال للصديق الكريم أننى هونت من شأن الكلام ، أو أصغرت من قدر الأدب والبيان حين ضننت بالأدب أن يبتذل بالاستجلاب ، أو يمتهن بالدعاء المجاب أو غير المجاب ؟

إن الشعراء الصادقين — أيها الصديق — قد استجابوا لأصوات الشهداء فى معركة « القنال » بالقدر الذى لا يخرج بشعورهم الغالى إلى رخص التمثيل ، وهوان التدجيل .. فقد نشر بعضهم فى الصحف، وأذاع بعضهم فى الإذاعة المصرية ، ولم يشاءوا أن يجعلوا من « معركة التحرير » مناجاة حامية ترتفع فيها الأصوات الحارة بطلب السلاح ، وبالرغبةالخالصة فى الكفاح ، فيقال لهم : انتظروا حتى يتم الإشراف على الكتائب المحررة . . وما أشق الانتظار ، على المجاهدين الأحرار !

ولعلك ايها الصديق قد أدركت معى الظروف التى أحاطت

بى وأنا أنظم قصيدتى «على طلقات المدافع» ؟ فهى ليست كفرا بالأدب، ولا جحودا برسالته، ولا تهوينا من شأنه، ولا إغفالا لخطره، ولا سوء فهم لوظيفته، ولا خروجا به عن طبيعته ... وإذا كنت قد فهمت من قصيدتى ومن مقدمتها هذا الفهم، وعبت منها هذا القول الصحيح، فأنا أجل أدبك وفهمك أن تكون الآفة فيهما .. ولكنك انسقت يا أخى وراء خلابة اللفظ، وشهوة الكلام فأحببت أن تتكلم، وأحببت أن تقيم دعاية عريضة «لرصف الألفاظ، وحشد العبارات». ونسيت أننى — وأنا طرف لك فى هذه الخصومة الأدبية — أكره الكلام فى غير جدوى، وأمقت الألفاظ فى غير طائل، وأضع الكلام موضعه حين أريد أن أتكلم، كما يضع الخبير الهناء مواضع النقب . .

لا يا سيدى ! لم تكن القصيدة التى نظمتها كفرا بالأدب ولكنها فى الحق كفر «بالخطب»، وكفر بالمقالات والكتب.. فى وقت تمتد فيه سواعد الشباب والشيوخ لو أتيح لها أن تشمر، ولكن (رئى) أن تعطل السواعد، وأن تديح بدلا منها الخطب والقصائد !

ألست معى بأن نفوس الشعراء أو نفوس بعض الشعراء كان يغشها ضباب هذه العوامل النفسية الخفية، فوقفوا يتفرجون فى صمت، أو ينظرون فى عجب، حتى يزاح الستار عن الأسرار . .

وإلا فبربك لماذا سكت أنت عن أحداث القناة وما عهدتك إلا ناطقا ؟ ولماذا لم تشترك فى معركة «قنال السويس» بقلمك وأدبك فى لحظة كانت أرواح الشهداء ودماء الأبرياء تتطلع إلى مثل «عباراتك» من وراء الغيب، وتهفو إلى صرير قلمك من خلف الفراديس ؟

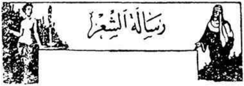
والآن وقد انجلى غبار معركة القنال عن بعض الشهداء الأعزاء أراك قد أمسكت «القلم» وامتطى فى يدك الجمس اللطاف .. وأفرغت عليه شباب فكرك لكى تذكرنى بما قاله «هازلت» و«سارتر» و«جورج برنارد شو» فى القلم وقوته، والبيان وسطوته

لا، لا يا أخى ! لقد قرأت من زمان طويل ما قاله «هازلت» فنازلا، و«سارتر» فصاعدا .. ولعلك خبير بتسلسل هذه المصور فى فرنسا وإنجلترا .. ولكننى قرأت من أسابيع فقط ما كتبه الشاعر الإنجليزى المعاصر «ستيفن سبندر» فى مجلة نيويورك تيمس بوك ريفيو الأمريكية

The New York Times Book Review عن رسالة الشعراء فى الحياة، وهل نستطيع أن نعيش بدونهم .. ولعلك يا أخى قرأت خلاصة لهذا المقال فى عدد نوفمبر سنة ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» الشهرية التى تصدرها دار المعارف بمصر . ولعله قد لا يعنيك أن تعرف مترجم هذا المقال الذى يستحى أن يتحدث عن نفسه ولكنى أؤكد لك أن قصيدتى «على طلقات المدافع» لم تكن صرخة يأس ولا صيحة قنوط .. ولكنها كانت نذيرا، ونذيرا قويا لقوم يجهلون قيمة «المدافع»، فى عالم ملئ بالشهوات والمطامع

وسلام عليك أيها الصديق القديم، والخل الكريم

محمد عبد الغنى حسن



الفـــــدائى

للأستاذ عبد اللطيف النشار

... وعلى الله فاتكل يا فدائى   فهو أعلى يداً من الأعـداء
اشترى الله أنفسا نحن منها   فهو أولى بهـا من الأولياء
إن حيينـا فللـكرامة والعزة ، والموت غاية الأحيـاء
أو قضينا فللذى مرجع الـكل إليه مـتأثرا بالبقـــاء
والمنايا على اختلاف صواها   كلها دون مصرع الشهداء
فى سبيل الإله نطرد من مصر عـــدوا مجاهرا بالعداء
لم يدع حرمة بقدسهـا العالم إلا أصابهـا باعتـــداء
وصفيق دعواه فى كل جرم   أنه لم يزل من الحلفـاء
آية الود عنـدهم ما جنوه   والخيانات آية للوفاء
ليس فى عالم الجرائم ذنب،   ما جنوه هنـــا على الأبرياء
احتلال لوطن فيه أهلو   ه وقتـــل لصبية ونساء
والمحاريب دنسوا وأهانوا   حرمة العدل فى رجال القضاء
واستباحوا الأموال نهبا وسلبا   فى ضياء النهار أو فى المساء
بجنود مسلحين وقطـا   ع طريق وطغمـة جبنـــاء
هؤلاء الأنذال خانوا المواثيق فماذا نرجوه من هؤلاء
بارك الله أيديا عالجتهم   وسقتهم ذنوبهم فى الدواء
أقحموا فى مواطن العرب الغر   دخيلا من أنجس الدخلاء
فى فلسطين صورة لسواها   إن تراخى أعداؤنا فى الجلاء
صاحب الدار شردوا ليحلوا   غيره فى محـــله بالـكراء
الجـلاء الجـلاء يا أخبث الناس ضميرا وأسفه السفهاء
يا فدائى مرحبا بالفدائى   أتؤدى فى مصر فرض السماء
فيد الله فوق أيدى، رماة   أنقذونا من شر هـذا البـلاء
ورمى الله إذ رمى مرسل السهم إلى قلب جاحد النعماء
القنـــاة التى يقولون أنا   غير أهل لحفظهـا شبر ماء
وهمو العاجزون عن صونها منـا ونفدى مكانهـا بالدماء
كقـــام الحسين كل مكان   مستظل بالراية الخضراء
يا قناة السويس يا زمزم الو   ادى ورمز الأخوة السمحاء
قد حفرناك كى تـكونى أداة   لرجاء أكرم به من رجاء
صـــلة من أخوة الناس تزداد اتساعا فى رقة وصفاء
للمودات لا العداوة والبغى وصلنا بالدمع ماء بـــاء
ومرجنا البحرين تقريب بعد   بين دان من البلاد وناتى
زعموها لنصرهم . أو حقا ؟ وعلينـا ... ؟ يا أمة السفهاء
لو أردنا وماؤها الملح يحلو كل شئ يحلو ازاء العداء
لشربنا القناة فى بعض يوم   وأكلنا أكبادكم فى العشاء
لو أردنا فإنهـــا حفرة تصلح قبرا لمعشر أشقيـاء
أو بحمى القناة من يخطف الأطفال منه السلاح دون عناء
ما رأينا ولا رأى الناس من قبل جيوشاً مصفوعة الأقفاء
جيش مصراعز من حرب هذا   فليؤدبه بالعصى الفدائى

عبد اللطيف النشار

الرماد المعذب

« مهداة إلى صديقى الناقد الأستاذ أنور المعداوى »

للأستاذ على الصياد

فى عالم مكفن الضمير   بعثت لا أعلم ما مصيرى
معذب فى زحمة الشرور   وكل ذنبى رقة الشعور
مكحل بليله الضرير   وفجر غيرى نوره من نورى
أسقيته الحلال من عصيرى   ولم أجد منه سوى العسير
مشى بروضى مشية الأمير   يقطف من وردى ومن زهورى
وينهل السلسال من غديرى   وينهب الألحان من طيورى
وفى ربا فردوسى النضير   تعلم النطق من خريرى
ومن عجيب لج فى تدميرى   وقد روى إحساسه غيرى

تخدعه السندس فى القصور … وتخدعى الشوك على الصخور
ويزدهى فى الصوف والحرير … وهيكلى ممزق الستور
سألته عن ماله الوفير … من أين قال من دمى (المهدور)
سألته عن أصله الحقير … أصدقنى القول بلا تزوير
سألته عن ملكه الكبير … أخاله قال إلى الثبور
سألته عن علمه الخطير … قال كحفنة من القشور
سألته عن دمعة الفقير … قال كنجوى راهب فى (الدير)
سألته حتى عن الحبور … قال سراب خاطف العبور
فاله يختال فى غرور … وأصله من الثرى الحقير

***

إنى هنا فى ليلى المنشور … مبعثر المنى على الوعور
شيعت فيه مأتم السرور … بين جلال الوحشة المثير
وصرت فى ظلامه المضفور … مخترق الأنفاس والزفير
أبحث بالعينين عن سمير … فلم أجد فيه سوى النسور
حاملة فى بطشها المغير … رسالة القهار للمقهور
يا توأمى فى البدء والنشور … رفقا بروح شاعر مصهور
جدان فى غياهب الديجور … بفجره المفضض المثير
يغربل الأنام بالتفكير … وكلهم نفاية القدور
أنا كتاب حالك السطور … محجب البيان والتصوير
مزقه الناس بلا شعور … فى معبد من الأسى مهجور
وكفنوه فى دجى التحقير … وهو نتاج المبدع القدير
غدا يشع كالسنا الطهور … مذهب الأسرار والتفسير
وسوف يبقى عبقرى النور … فى ظلمة الأجيال والعصور

على الصياد

الأمس الضائع

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

أفلت الأمس من يدى … لم يهدهده موعدى
وغفا حاضرى فوا … لهف نفسى على غدى

. . .

كنت أشتاق للدمى … والمساء المربد
فأمانى صبوة … لحبيب مفرد
وحيانى مشارق … الصباح منضد
وإذا القلب يجتوى … فجأة كل فرقد
شاكه اليأس فانطوى … رهن ماض مبدد

. . .

كنت أرتاح للقصيد … كحاث بمعبد
يتصبانى القريض … بوحى مجدد
فأناجيه حالما … ببيان مخلد
وأجاريه لا أنى … كمحب مسهد
وإذا بى أعافه … بعد ما كان مقصدى

. . .

كنت أستقبل الصديق … كشاد مردد
مفرقا فى تلطفى … ممعنا فى توددى
أغزل الود من فؤا … دى وأسقيه موردى
ثم إذ غالنى الأسى … والأسى خير مرشد
عدت والبين غالبى … قانعا بالتوحد

. . .

كنت للمجد عاشقا … كلفا بالتوحد
أتحرى طلابه … رائحا ثم مغتدى
فيه مجلى سعادتى … فيه ربى ومؤددى
ثم إذ شمته بريقا لجان محمدا
لم أعد بعد راضيا … بالذى كنت أجتدى

. . .

أفلت الأمس من يدى … لم يهدهده موعدى
وغفا حاضرى فوا … لهف نفسى على غدى!

مكة … **حسن عبد الله القرشي**

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

رسالة الجنوب الى الشمال :

يا أخى فى الشمال ، يا أخى فى الله والدين والوطن . . باسم كل أخ لك فى الجنوب ؛ باسم كل سودانى كريم على نفسه وكريم على وطنه ، يطيب لى أن أوجه إليك الحديث كما وجهته إلينا على صفحات الرسالة ، حافلا بصدق الوطنية ، زاخرا بعمق الأخوة ، ملتهبا بحرارة الإيمان !

حقا يا أخى إننا فى « ميدان الجهاد يد تمد إلى يد ، وفى معرض التضحية قدم تسعى إلى قدم ، وفى مجال الوفاء عاطفة تقبس من عاطفة » . . ولله ما كان أصدقك وأنت ترسل صرختك المدوية التى أيقظت كل ضمير وهزت كل شعور : « إن الشمل لن يتفرق ، وإن البناء لن يتصدع ، ما دامت هذه القطرات الأبية من الدم المسفوك على ضفاف القناة وفوق ثرى الخرطوم ، قد ألقت على الطغاة أروع الدروس فى التضحية والبذل والفداء ، وأقلقت منهم المضاجع وهى سارية فى العروق وهى جارية على الأرض ، وهى فى حركة الحياة الطليقة وهى فى سكون العدم » !

أجل يا أخى رددها إذا شئت ، فقد رددناها معك باللسان وحفظناها فى قرارة الوجدان ، واتخذناها شعارا للأخوة المقدسة التى « استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد » . . إننى لا أجد خيرا من كلماتك لأعيدها إليك ، مضمخة بعطر الجنوب مدثرة بوشاح هواه ، لأن « أنشودة الجهاد التى بدأتموها فى شمال الوادى قد أذن الله أن ترسل أنغامها فى جنوبه ؛ وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان . . ولكن أنغامنا وهى أنغامكم ستظل إلى الأبد ترن فى مسمع الزمن ، ولكن نارنا وهى ناركم ستظل إلى الأبد تنير الطريق للحائرين ، ولكن ذكرانا وهى ذكراكم ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطرا يفوح » !

إن معاول الاستعمار التى تحاول أن تهدم صرح الوحدة ، وإن قوى الشر التى تحلم بأن تهيل عليها التراب ، ستمنى آخر الأمر بالخيبة وتبوء بالخذلان ، لأن ما بنته يد الله لا يمكن أن تنال منه يد الشيطان . . إن هذه الوحدة الطبيعية يا أخى ، هذه الأرض التى تجمعنا ، هى إرادة العمل الرزين والتحرير الملهم . إننا هنا لتطربنا أصواتكم ، أصوات المؤمنين بحق الشمال والجنوب فى حياة حرة كريمة ، قوامها الوفاء الخالص وعمادها الإباء الخالد . أما أصواتنا فهى تعانقكم فى كل أفق ، وتصافحكم فى كل طريق ، وتناجيكم على أوراق الصحف وأمواج الأثير . . ولن ننسى صوتك وصوت شاعركم الخالد وهو يقدم إلينا لوعة الشعر فى محنة الشعور :

فكيف تلاحينى وألحاك إننى ... شهيدك فى هذا وأنت شهيدى
حياتك فى الوادى حياتى فإنما ... وجودك فى هذى الحياة وجودى!

مرة أخرى يطيب لى أن أستعير من كلماتك ما أوجهه إلى كل أخ فى الشمال : « ولا علينا يا أخى من تلك القيود ، إن معدنها الرخيص سيذوب يوما تحت وهج النار المتأججة فى حنايا الضلوع . . وسنمضى اليوم وغدا جنبا إلى جنب ، وقلبا إلى قلب ، وعيوننا أبدا إلى الأفق البعيد » !

أخوك فى الجنوب

« دروديب — السودان » حسب الله الحاج يوسف

هذه الرسالة الكريمة لم تكن الوحيدة التى تلقيتها من أبناء الجنوب ، وإنما تلقيت من أمثالها الكثير . . وأكتفى اليوم بنشرها لأنها نفحة شعور تعبر عن نفحات ، وخفقة قلب تنوب عن خفقات ، حين تغنى الدلالة الموحية فى مثل هذا المقام عن كل سرد وإحصاء !

إننا نعلم حق العلم أن أصواتنا تملأ أرجاء الجنوب وتتردد فى حنايا الصدور ، رغم الضجيج المنبعث من أبواق المرجفين . . إن صوت الحق لا بد أن يرتفع فوق صوت الباطل ، وإن منطق العدل الحبيب لابد أن يطغى على منطق الظلم البغيض ، وإن نداء الحرية لابد أن يبلغ الأسماع وإن حالت بينه وبينها السدود والقيود!

إننا حين نتوجه بدعوتنا المخلصة إلى أبناء السودان ، ندرك كل الإدراك ما تسكنه لنا الكثرة الغالبة من إخاء يسمو على الترغيب ووفاء يعز على الترهيب ؛ لأننا نعيش على ضفاف النيل ولا نعيش على ضفاف التاميز ، وننطق بلغة القرآن ولا ننطق بلغة الطغيان ، ونفخر بالوجوه السمر حين يفخر غيرنا بالوجوه الحمر . . الوجوه الصفيقة التي لم تعرف في تاريخها الطويل حمرة الخجل من ضيعة الضمير وانحطاط الشعور بالإنسانية ! !

إنهم ، أصحاب الوجوه التي تصطبغ بكل حمرة غير حمرة الخجل ، يؤكدون أن سر بقائهم اليوم في السودان هو حمايته من الاستعمار المصري .. وهم ، هم أنفسهم ، أصحاب المنطق الذي يتحدث بكل لغة غير لغة الحياء ، يؤكدون أيضاً أن سر بقائهم في مصر هو حمايتها من الاستعمار الروسي ! وفي سبيل درء الخطر عنا ، نحن « أصدقاءهم » في الجنوب و « حلفاءهم » في الشمال ، دوى الرصاص يمزق الأجسام على ضفاف القنال ويلهب الرءوس فوق ثرى الخرطوم .. ولم يكن الرصاص الذي أصاب السودانيين مصرياً أو الرصاص الذي أصاب المصريين روسياً على التحقيق ، وإنما كان رصاصاً بريطانياً « صديقاً » وقفت من ورائه الوجوه « الحليفة » ؛ الوجوه الحمر التي اكتسبت لونها على مر الزمن من دم الأحرار في كل مكان !

لقد وقف أندريه فيشنسكي فوق منبر الأمم المتحدة ليندد بصور الوحشية البريطانية في شمال الوادي ، ووقف من قبله محمد صلاح الدين ليندد مظاهر الهمجية البريطانية في جنوبه ؛ والأول إذا لم تكن تملم هو وزير خارجية روسيا الذي يتهمه الإنجليز بأنه يتطلع إلى احتلال مصر ، والثاني إذا لم تكن تفهم هو وزير خارجية مصر الذي يتهمه الإنجليز بأنه يهدف إلى احتلال السودان .. ولا تعجب لمثل هذا الاتهام حين يصدر من منطق اللصوص ؛ اللصوص الذين يعيدون إلى الذهن منطق ذلك اللص الخالد في جرأته الخالدة ، حين سمع وقع أقدام تقترب فرفع من صوته « الأبي » وكشف من وجهه « الحيي » ، ليقول لرجل البوليس في غير تلعثم ولا اضطراب : « مين اللي ماشي هناك » ؟ !

ماذا نقول لهذا المنطق ؟ منطق قطاع الطرق حين يستخدمون لغة المحافظين على الأمن والساهرين على النظام ؟! لقد تحديناهم من فوق منبر الأمم المتحدة على لسان صلاح الدين ، تحديناهم أن يعرضوا على السودانيين استفتاء حراً بعيداً عن قوة البطش وسطوة الإرهاب ، ليسمع العالم صوت الجنوب منبعثاً من أعماق القلوب . . تحديناهم فصمتوا صمت القبور ، لأنهم يعلمون إذا قبلوا التحدي ماذا ينتظر حكمهم « العادل » من مصير ! صمتوا ونطقت شركات الأنباء حين نقلت إلى صحف العالم قصة الأيدي المصفقة لصلاح الدين ؛ أيدي الأعضاء الذين هزهم صوت الحق فحيوه وهم وقوف .. ومع ذلك فلم يحرك صوت الأيدي المصفقة صمت الوجوه الصفيقة ، لأنها لا ترهب غير صوت الحديد والنار !!

هذه العبارات الأخيرة هي التي نود أن يفهمها طلاب الحرية في الشمال والجنوب . . لقد فهمها الأمريكيون بالأمس البعيد فاستخلصوا من الذل كرامة ، وفهمها الأرلنديون بالأمس القريب فخلقوا من العدم حياة ، وفهمها اليهود آخر الأمر فأقاموا من الوهم دولة ! ولقد كانت اللغة الوحيدة التي خوطب بها البريطانيون هنا وهناك ، كانت كما قلنا لغة النار والحديد .. وإنها في منطق الحرية لأشرف اللغات ، في كل حاضر وآت !!

معالي وزير المعارف والاستعمار الثقافي :

في العدد الأسبق من « الرسالة » كتبت مقالا عن موقفنا من الاستعمار الثقافي بدأته بهذه الكلمات : « ما هو موقفنا اليوم من الاستعمار الثقافي ؟ سؤال يتردد في الأذهان ومن حقه أن يتردد ، ويستقر على كل لسان ومن حقه أن يستقر ، ويوجه إلى معالي وزير المعارف ورجاء السائلين فيه أن يجيب » !

قلت هذا ثم أبديت رأيي فيما يجب أن يكون عليه موقفنا من اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية ، بعد أن لقي المصريون من نذالة الإنجليز ما نطقت به الأقلام والأجسام ، هذه بدمائها وتلك بمدادها في معرض الثورة على مظاهر الظلم والغدر والطغيان .. أبديت رأيي ملخصاً في هذه السطور : « هذه اللغة وتلك الثقافة كلتاهما تحتل مكانها المقدس في المدارس والجامعات ، فلم لا نستبدل بها لغة الألمان وثقافة الألمان ، أو لغة الروس

وثقافة الروس ، أو لغة الفرنسيين وثقافة الفرنسيين ؟ لم لا نعمل والمعنى البعيد كامن وراء هـذه الـكلمات ؟ المعنى البعيد الذى يتمثل فى كرامتنا حين نكون « أحرارا » فى اختيار لغة أخرى غير لغة الخصوم ، وتفضيل ثقافة أخرى على ثقافة الأعداء » ؟!

كتبت هذه الـكلمات كما سبق أن قلت ، فى عدد « الرسالة » الذى ظهر فى اليوم السادس والعشرين من نوفبر .. وفى اليـوم الثالث من ديسمبر ، أى بعد ذلك بأسبوع واحد ، طلعت جريدة « الأهرام » على القراء بهذا النبأ : « قرر معالى وزير المعـارف أن تكون اللغات الأوربية التى تدرس فى المدارس الثانوية طبقا لقانون التعليم الثانوى الجـديد هى : الفرنسية والإنجـليزية والألمانية والإيطالية ، على أن تكون إحـدى اللغتين الأوليين أصلية ، وإحدى اللغتين الأخريين إضافيـة ، وأن يبدأ تنفيذ هذا القرار بمدارس القاهرة والإسـكندرية هذا العام ، ثم يتم تعميمه تدريجا .. وطلب معاليه إلى الهيئات الثقافية فى السـفارة الإيطالية والمفوضية الـويـسرية ترشيح مدرسين للغتين الإيطالية والألمـانية » !

هذ هو النبأ الذى نقلته « الأهرام » إلى الجمهور القـارئ منذ أيام .. ولقد كنت أود وقد تفضل معالى الوزير فحقق بعض الأمل الذى تطلع إليه هذا القلم فى رغبته ؛ كنت أفضل ألا يكون للغة الإنجليزية مثل هذا المقام « الأول » أو المكان « المحترم » بين غيرها من اللغات ، وأن تجد اللغة الروسية مكانا إلى جانب اللغتين الجديدتين وأعنى بها الألمانية والإيطالية ! إننى لا أستطيع أن أنكر هذه الخطوة الموفقة لمعالى وزير المعارف ، لأنها تحمل فى أحشائها جنين تلك الفكرة التى جعلت منها المحور الأصيل لما كتبت ، وأعنى بها فسح المجال للغات أجنبية أخرى تشعرنا بأننا « أحرار » فى الاختيـار ، ولسنا مرغمين على قبول لغة بعينها خضوعا لرغبة مستعمر عقـدنا العزم على التخلص من آثاره وأوزاره !

إن هذه الخطوة « تحمل » فى أحشائها « جنين » تلك الفكرة ؛ ولـكننى كنت أرجو أن « تضع » لنا « مولودا » مكتمل الخلقة واضح القسمات .. مهما يكن من شئ فإن لمعالى وزير المعـارف وجهة نظره التى أملت عليه مثل هذا القرار ؛

ولـكننى مازلت أطالب بألا يكون للغة الإنجـليزية مثل تلك « الأولوية » التى اكتـسبتها فى رحاب هـذا الوضع الجديد ! وأود أن أقترح — مادام معاليه يريد الإبقاء على تلك اللغة — منح الحرية للطلاب فى اختيـار لغتين من تلك اللغات الأربع ، ولا بأس من أن تكون إحداها أصليه والأخرى إضافية ؛ أعنى ألا يكون هناك « إرغام » على أن تكون لغة بالذات فى المقـام الأول .. ولعل الهدف الذى أرمى إليه واضح لايحتاج إلى تفسير ، حين ألخصه فى كلمة واحدة هى « الحرية » .. الحرية فى اختيار اللغات والثقافات !

أما اللغة الروسية والثقافة الروسية فلنا إليهما عودة فى المقال المقبل ، حـين نعرض لموقفنا من الاتحـاد الـوفيتى كدولة لا كنظام من نظم الحـكم ، تبعا لموقفه منا فى هذه الأيام !

أسئلة من القراء :

سألنى بعض القراء عن المعنى الذى رميت إليه من وراء هذا التعبير : « أشهد أن تلك اللغة ليست أشرف اللغـات » ، حين كنت أتحدث عن اللغة الإنجليزية وأطالب بإلغائها فى المدارس والجامعات .. ثم انتقل بعضهم من هذا السؤال إلى سؤال آخر : ما هى ضوابط اللغة الشريفة فى رأيكم ؟!

وردا على حضراتهم أقول : إننى ما عمدت إلى هـذا التعبير إلا وأنا أرمى من ورائه إلى السخرية أو « التريقة » .. ولعل المفتـاح كامن هناك ، فى ذلك التعبير الآخر الذى يسبق هذا التعبير حين قلت : إن اللغة الإنجليزية تحتل مكانها « المقدس » فى المدارس والجامعـات .. ومن هنا يكون هدف السخرية المقصودة هو لماذا تقدس هذه اللغة تقديس القيم الشريفة ، وهى ليست من هذا المعنى الأخير فى شئ ؟!

أما بقية الأسئلة وهى لحضرات الأدباء : منير آل ياسـين ببغداد حول « الشعر المرسل أو الشعر المنثور » ، ومحمد رفعت الدوبانى بالقاهرة حول « مسرحيـة دنشواى الحمراء » ، ومحمود سلطان البدراوى بأسيوط حول « الأساليب الأدبية » ، والبانى أحمـد السكرى بكفر الشيخ حول « الاستعمار الثقافى » .. فإن موعدى مع الإجابة عنها فى المقال المقبل إن شاء الله

أنور المعداوى



« ديوان رسالة المشرق »

لمحمد اقبال

تعريب الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وديوان «اللمعات» للدكتور المعرب

للاستاذ عبد المنعم خلاف

منذ أن عرفنا كفايات (الدكتور عبد الوهاب عزام) الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد والعالم الباحث الأديب، ومن بينها كفايته الممتازة في حذق الفارسية والتركية والأوردية، وأنا أسائل نفسي والناس: لماذا لا تنتفع الدولة والهيئات الاسلامية والجماعات الأدبية بجهد هذا الرجل وفضله في توثيق عرى الأخوة والصداقة بين شعوب هذه اللغات وبين مصر خاصة والعرب عامة! فإن ما يفعله مثل هذا العالم الأديب المدرك في توطيد العلاقات بين هذه الأمم والشعوب أعظم وأفعل بكثير مما تفعله تلك العلاقات التقليدية الرسمية المحدودة الشائعة على الدبلوماسية المصرية التي لا تجد مثل هذه الكفاية في أغلب المجالات، وإن وجدتها فأخلق بها أن تضيعها فيما تضيع من مواهب ومصالح ومال ...

حقا كان هذا السؤال يشغلني منذ عشرين سنة، وما كنت أظن أن ما أرجوه وأسأل عنه سيتحقق؛ لما كنت أراه من انصراف مصر الرسمية، إلى ما قبيل هذا العهد، عن التوجه للشرق الاسلامي وشعوبه وعلاقاته، واتجاهها صوب الغرب لتكون منه ولو في موضع الذيل .. وكان هذا وحده يشرفها في نظر تلك الطبقة الممسوخة التي ضيعت كل شيء حتى نفسها.

ثم تداركنا الله بلطفه فأظلنا ذلك العهد الذي ابتدأنا نتحرر منه من نظرات الممسوخين المصروفين عن الخير الكامن في الشرق الاسلامي، وندرك بعض الحقائق عن أنفسنا وعلاقاتها الأصلية بالأمم الاسلامية والشرقية، وكان الانتفاع بمواهب الدكتور عبد الوهاب عزام بك في توطيد تلك العلاقات من مفاتح هذا الاتجاه.

وأي انتفاع في السفارة بين الأمم أعظم من القيام بجانب السفارة الدبلوماسية بالسفارة الفكرية وتعريف كل من الطرفين بعقل الآخر وروحه ومزج العقلين والروحين عن طريق الترجمة والنقل للآثار الأدبية الموجهة للحياة ؟!

* * *

لقد عرب الدكتور عبد الوهاب بك ديوان « پيام مشرق » أو رسالة المشرق للشاعر الفيلسوف محمد إقبال، الذي كان قيام دولة الباكستان لمحة من لمحات خاطره وشاعريته، أوحى بها إلى مسلمي الهند في خفقة من خفقات الالهام الذي يخلق الأحداث الجسام ويغير وجه التاريخ، فما لبثت أن تلقفها منه (رابطة مسلمي الهند) على يد البطل الحديدي رجل الكفاح والصبر (محمد علي جنه) التي نفخ في عزم بني دينه حتى خلقت باكستان في لحظة من لحظات التاريخ الحاسمة المسعدة . .

ولقد عرفت روح الدكتور المترجم روح الشاعر الملهم من قبل أن نتعرف إلى أرضه ودياره ودولة أحلامه التي تحققت بعد وفاته بوقت قليل.

ولست بصدد تقديم الدكتور عزام بك بوصفه مترجما أديبا عالما أصيل الديباجة العربية عميق الإدراك مشرق الروح أمين الآراء فذلك مني جرأة لا تحمد، بعد أن عرفته العربية علما من اعلام الفكر والقلم واللسان .. ولست كذلك بصدد عرض ديواني رسالة المشرق واللمعات ونقدهما النقد اللائق بهما .. وإنما أنا الآن بصدد التنويه بظهور هذين الأثرين الفكريين في ثوب من الشعر العربي المبين.

* * *

في (رسالة المشرق) تحليق فكر ورفرفة روح؛ فإن إقبالا من الشعراء الفلاسفة الصوفيين الذين تزدوج في نتاجهم العشق الصوفي بالعلم ازدواجا ينتج تلك « الحلقة المفقودة » من الآداب

الرفيعة التى يتمثل فيها جلال الانسانية وسموها ووقوفها فى نصابها الأعلى .. وفيه كثير من الومضات التى يمتاز بها الشعر الصوفى ، قد تظهر صورا واضحة أو رموزا مبهمة أو ضبابا .

وفيه توجيهات عقلية ودينية فى صور من الأمثال المضروبة على ألسنة الحيوان والنبات والجماد . وفيه تلك الخواطر الوجدانية المشتعلة ذات الجذوة الحمراء والمبتردة ذات الجذوة البيضاء ...

وحسبى أن أذكر المذهب الذى سلكه إقبال وهو يتضح فى تلك المحاورة التى أجراها بين العشق والعلم .

العـــلم :

أنا سر الكواكب والجهات ... وفى قيدى ثوى ماض وآت

وعينى حـــدقت فيما أمامى ... وما نظرى وراء السابحات ؟

وكم نغمت فى عودى وبوق ... وأسرارى عرضت بكل سوق

العشق :

بسحرك سجرت هذى البحار ... وملء الجو سمك والشرار

وكنت لى الصديق فكنت نورا ... ونورك مذ هجرت حماى نار

ولدت الأمس فى حرم الرحيم ... وصرت اليوم فى قيد الرجيم

هلم فرد روضا ذا اليبابا ... ورد مشيب دنيانا شبابا

هلم بذرة من نار قلبى ... أقم إفى الأرض فردوسا محابا

كلانا الدهر خل لا يجور ... للحن واحد بم وزير . . .

ألست ترى فى هذه الأبيات أمل الانسانية المفقود الذى ما فتئت نفوس المخلصين نتطلع إليه وهو قيام حياة يعرف فيها للعلم مكانه؛ ولمنطق القلب وشفافيته ورحمته وعشقه للمجهول فكأنه ؟ وألست ترى مشكلة العلم تتلخص فى أنه لا يزال يولد فى نبضة من نبضات رحمة الله الرحيم بالانسانية فما يلبث أن يتلقفه الشيطان الرجيم فيدمر به العامر، ويعذب به من يتطلع إلى الرحمات المرسلة ؟

ثم ألست تراه يضع العلم والعشق حيث يجب أن يوضعا معا فى خلة صادقة لا تجور ولا تطغى ، كأنهما وتران فى قيثارة يجب أن يتوازن التوقيع عليهما حتى ينغما نغما فيه ذلك (الهرمونى) والانسجام الموسيقى الذى يثير فى النفس أطرابها وأشواقها ؟ !

وإقبال بهذا الاتجاه الصحيح المزدوج رائد من رواد الفكر الاسلامى الحديث، أنقذ بمسلمى الهند من آثار السلبية والانطلاق الشعرى الصوفى اللذين يغلبان على قلسات الهنود، ويشل قوى العقل والعمل ويحرم الانسان من الانتفاع بالقوى المادية ، وانقذ بذلك عددا كبيرا من المسلمين الهنود الماديين المحدثين الذين لا يؤمنون بغير العقل المادى على الأسلوب الغربى الحديث الذى لا يؤمن بما وراء المادة فردهم إلى حظيرة الاسلام بعد أن علموا نظرته المزدوجة إلى الوجود .

وهو كغيره من الصوفية لا يعول على العقل وحده وإنما يكبره حينما يصحب العشق ويفنى فيه . والعقل عند الصوفية عاجز جبان لا يدرك الحقائق الكبرى ولكن يتصرف فى الجزئيات .

يقول إقبال :

العقل يحرق عالما فى جلوة منه تنير

لكنه بالعشق يعرف كيف فى الدنيا يسير

العشق فى الأرواح يخلق كل لون أو يثير

بالعشق ترتاح القلوب وإنه فيها سمير

أنصت لقلبك ساعة فلعلما يدنو المسير

. . .

لقد قدم المترجم للديوان ولمؤلفه مقدمة وافية بالتعريف بالشاعر وفلسفته وعرائس شعره ومصادر ثقافته؛ وبين طريقته فى الترجمة بما جعل هذه المقدمة من نماذج الدراسة الأدبية التى تدور حول الشاعر وعصره وعناصر تكوينه .

. . .

ألحق بديوان (بيام مشرق) « اللمعات » وهو خلاصة فلسفة الدكتور واتجاهاته وتوجيهاته وصدى لالتقاء هذين الروحين الكبيرين اللذين جمعت بينهما الأذواق والأشواق الصوفية والدراسات العميقة لآثار شعراء التصوف من الفرس والترك . والاتصال الوثيق بالدراسات الاوربية . والحضارة الغربية والفهم العميق للاسلام وروحه وعقائده

وقد أهدى المترجم هذه اللمعات إلى إقبال اعترافا بفضله إذ شرع فى نظمها عقب قراءته لمنظومتى إقبال (أسرار خودى) أى أسرار الذاتية و (رموز بى خودى)

« واللمحات » لطيف الحجم ولكنه ملىء بالتأمل والهيام الصوفى وقضايا من العقل الواعى ، وخلوص النفس من الشوائب والقيود ، استنهاض القوى الذاتيـة ودفعها نحو الكمال والقوة والحرية وأشراف الأمور ، والأحـكام الصادقة على الأخـلاق والأعمال ، والتوجيهات الموفقة للشباب .

وحسبى أن أسرد عليك أبياتا من بعض قصائده لترى الآفاق التى رادها : لقد افتتح الديوان بمطولة بدون عنوان سار فيها على درب الصوفية وحشد فيها كثيرا من الخواطر والصور والتوجيهات منها:

كنت سطرا لم يفسره أحد — خطه فى غيبه الله الصمد
فى ضميرى كل معنى مبهم — حرت فى الاعراب عنه بالكلم (١)
قد نوى العالم فى قلبي وما — خط شيء فيه إلا الحرف ما

فهو هنا صوفى رمزى أصيل تدفعه قوى العشق والاستغراق فى التأمل

ثم يسير على درب القوم وكأنك تسمع إلى الشهرزورى فى قصيدته الرائعة :

لمت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادى وحار الدليل

إذ يقول :

ياليلى أوقدى ، طال المدى — أوقدى عل على النار هدى
أوقدى يالبن قد حار الدليل — أوقدى النار لأبناء السبيل
ارفعي النار وأذكى جرمها — عل هذا الركب يمشو شطرها
شردى هذا الظلام الجاثما — أرشدى هذا الفراش الحائما

ثم يأخذه الهيام بنشوته فيصور انطلاقه من انطلاقات نفسه

رنّ فى آفاقنا هـذا النداء — فأممنا البيت يحدونا الرجاء
قد غنينا عن مبيت ومقيل — وعن الأمواء والظل الظليل
وعن الرغبة والخوف سوى — خلع النعلان فى وادى طوى

* * *

كل حر ضاق عنه الوطن — وانطوى دون مناه الزمن
كل طيار على متن الفكر — وعلى متن هيـام لا يقر

ثم يعود بعد هيامه فى عالم الرموز إلى عالم الصور الكبيرة للذاتية الإنسانية الكاملة فى الإسلام

حبذا الصوت فمن هذا البشير — ومن الهاتف بالقلب الكبير
ومن المسعد فى هذى الهموم — ومن البارق فى هذى الغيوم
ومن الهابط فى نور السما — هاويا فى الأرض جيلا مظلما
ومن الهادى إلى أرض الحبيب — يعرف النهج وقد حار اللبيب
ومن السائق شطر الحرم — وإلى الأصنام سير الأمم
ومن القارئ فى بيت الصنم — سورة الإخلاص فى هذا النغم
ومن الحر الذى قد حطما — من قيود الأسر هذا الأدهما
ومن الباعث فى ميت الأمم — ثوره العزة من هذى الهمم

ثم يمضى الدكتور الشاعر على هذا النهج الواضح المشرق فى قصائد الديوان التوجيهية تحت أمثال العنوانات الآتية : (منار الهمم) (العالم معبد) (لا رهبانية فى الإسلام) (معنى التوكل) (الأمل) وفى هذه القصيدة الأخيرة معان ووصايا يجدر أن توضع دائما أمام عيون قادة البعث الإسلامى لتجدد من عزمهم وتشحذ من هممهم ليواصلوا كفاحهم فى ظل من روح الله الذى يطرد اليأس آفة الآفات لجهاد حياة الظلام

لا ترانا فى جهاد نيأس — ليس من أمتنا من يئسوا
أشعل الإيمـان فى كل دجى — واقدح العزم إذا الهول دجا
وصل القلب بخـلاق الرجاء — واخلقن فى كل حين ما تشاء
إنمـا الإنسان فـكر وعمل — بصدع الظلماء فى نور الأمل
أمل الإنسان فى القلب ضياء — وهو فى الكف جهاد ومضاء
وقضاء الله عون الآملين — وهو فى عون الأباة العاملين

* * *

هذه عجالة من الديوانين ، الخالصين للحق والقوة والجمال ، الزاخرين بجواهر المعانى الإسلامية يقدمها الشاعران نماذج لما فى القلب الإسلامى من مدخرات للانسانية الضالة الخابطة المعذبة.

يجدر بوزارات المعارف فى ديار الإسلام أن تضعهما أمام عيون النشء، كما تكثر من وضع آداب « الترف » العقلى وتمليق الغرائز ، والتصوير المكشوف للآفاق المنحطة من حياة القطيع .

وقد نشر الديوانين (جمـــاعة إقبال) فى (كراتشى) بالباكستان فى مجلد أنيق على ورق فاخر كأنه ورق الورد رونقا وبهاء.

عبد المنعم خلاف

(١) لم يكن العالم فى قلبه إلا شيئا

البريد الأدبي

مرحبا بطلائع المجد

أزعجت المستعمرين هذه اليقظة الشاملة التي انتظمت الشعوب الإسلامية جميعا ، وهالهم أن يروا هزة الحياة تنطلق في ربوعها الممتدة مابين قرني الدنيا ، فتهب من رقادها كما تهب الأسود ، لترحض عنها عار الذل ، وتستعيد حياة العزة والكرامة .

وإن الشعوب الإسلامية حين تندفع في هذا السبيل المجيد لتستجيب في ذلك لنداء دينها المنبعث من أعماقها ؟ ذلك الدين الذي جعل الإيمان والعزة حليفين لايفترقان ، وأضاء للمسلمين بنور تعاليمه فجاج الحياة ليتخذوا طريقهم إلى بعيد الغايات في ثقة وأمن وسلام . وإن جذوة الحياة لتكمن في أعماقهم . وإن طال عليها الخمود . إنها الروح التي تصرح بها الآية الكريمة (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) فظاهر الحياة الجديدة التي تبدو في الربوع الاسلامية اليوم تتصل أسلاكها بهذا المصدر القوي الذي يمدها بالقوة ، ويرفدها بالحرارة ، ويمنحها الدوام والخلود .

هذه المبادىء الخالدة ، وتلك التعاليم السامية ، وهذه التشريعات الحكيمة الرحيمة هي روح الحياة في المسلمين، وعنصر بقائهم ، وسر قوتهم وتماسكهم ، تصلهم بأمدادها ، وتهديهم بإشراقها ، وتدفعهم بتيارها ، ولن يتوقف موكبهم عن السير إلى غايته ما دام يستند إلى هذه القوة الروحية الخالدة ، ويندفع بتلك الطاقة السماوية الجبارة . شهد بذلك التاريخ الماضي ، ويشهد بذلك التاريخ المعاصر : فهذه باكستان وأندونيسيا وإيران وهذه مصر ... وسترى ماسيفعله العراق وشرق الأردن والشمال الأفريقي .

أيها الأمم الساعية لمجدها المنطلقة لغايتها ... لاتلتفتوا إلى الوراء ، ولا تتوانوا في السير ، ولاتقفوا دون الغاية ، ولا تخشوا سوءا ، مادمتم تسيرون على هدى الله .

فرشوط — عبد الفتاح محمد حمار

هنة لغوية :

قرأت في العدد -٩٥٨- من مجلة الرسالة الجيدة قصيدة بعنوان (تذكرى) للاستاذ الشاعر ابراهيم محمد نجا استعمل في أحد أبياتها (ظل وريف) كما يأتي :

وإن عمري في هواك انطوى كما انطوى في القيظ ظل وريف

واستعمال (ظل وريف) استعمال شائع خطأ ، والصواب ظل وارف . هذا ما أردت التنبيه اليه وعلى الاستاذ الشاعر الفاتحية وسلام .

كلية الحقوق — بغداد عبد الحميد الرشودي

إعتاب لا عتاب :

جاء في الأدب والفن في الأسبوع الماضي مايلي : « وإني أعتب على الأستاذ الفاضل » بصدد مناقشة الأستاذ أحمد محمد بريري . والجملة في الأصل الذي كتبته هكذا : « وإني أعتب الأستاذ الفاضل » ويظهر أن جامع الحروف بمطبعة الرسالة ظن أني تركت «على» سهوا ، فأثبتها هو مشكورا على حسن نيته .

والغرض من الجملة هو الإقرار بالحق في العتاب الذي وجهه إلى الأستاذ فيما يختص بالخجل من الخطأ ، فقد جاء ذلك مخالفا لما اجتهد أن أجري عليه من الاهتمام بموضوع المناقشة وتجنب مايمس مناظري .

قرأت بعد كتابة ماتقدم ردا للاستاذ محمد فأر في الاساس (٤ - ١٢ - ٥١) لم أجد فيه مايستدعي معاودة الكتابة ، فإذا كان لدى الأستاذ البربري نفسه شيء في هذا الموضوع فانا في انتظاره . وله تحيتي واحترامي .

عباس خضر



صائدة النمور

للكاتب الانجليزي ساكي

كان من أقوى بواعث السرور إلى مسز باكثيد ومن أشهى أمانيها أن تصطاد نمراً ، لا لأن شهوة القتل قد استولت فجأة على نفسها ، ولا لأنها شعرت بأنها تترك الهند — عند مغادرتها إياها — آمن وأهنأ مقاماً مما وجدتها عند قدومها إليها إذ هى أنقصت من عدد وحوشها الضارية بنسبة جزء من من وحش إلى مليون من السكان ؛ إنما نشأت هذه الرغبة الفاجئة الملحة فى اقتفاء خطوات ذلك الوحش النمرود على أثر ما سمعته عن لونا بمبرتون التى ركبت منذ عهد قريب طيارة مع أحد الطيارين الجزائريين قطعت بها فى الجو أحد عشر ميلا ؛ ولم يكن للونا من حديث غير حديث هذه الرحلة الجوية الجريئة . وهذا حادث لم يكن لمسز باكثيد بد من أن تكسفه بحادث من جانبها أشد منه جرأة وأدعى إلى الاعجاب بأن تصطاد نمراً تحمل جلده معها عند عودتها ، وبأن تنشر الصحف مجموعة من صورها الفوتوغرافية لمناسبة هذ الحديث العظيم

ورسمت مسز باكثيد فى رأسها بالفعل صورة لمأدبة غداء تأدبها فى بيتها بشارع كرزون استريت لغاية ظاهرها تكريم لونا بمبرتون ، وباطنها أن يرى المدعوون جلد النمر الذى اصطادته يغطى القسم الأكبر من أرض الغرفة ، وأن يستغرق حديث هذا الصيد كل الوقت الذى يقضيه الضيوف فى هذه الوليمة. كذلك رسمت فى رأسها صورة الشبك المصنوع من مخاب النمر الذى تقدمه هدية للونا بمبرتون فى عيد ميلادها المقبل . وكانت مسز باكثيد امرأة شاذة فى عالم مفروض فيه أنه واقع تحت تأثير الجوع والحب، فكانت تتأثر — إلى مدى بعيد - فى أغراضها وحركاتها بكرهها للونا بمبرتون

وساعدت الظروف مسز باكثيد ، فقد عرضت أن تدفع ألف روبية لمن يهيئ لها فرصة اصطياد نمر دون التعرض لخطر جدى ودون بذل مجهود شاق . وقد اتفق أن إحدى القرى المجاورة كان فى مقدورها أن تفخر بأنها الملتقى المحبب إلى وحش محترم الأصل اضطره ضعف الشيخوخة أن ينصرف عن تحصيل قوته بافتراس حيوانات الغاب ، وأن يعود معدته القناعة بالحيوانات الصغيرة الأليفة . فحركت الألف روبية الموعود بها غريزة القرويين الرياضية التجارية ، فرابطوا ليل نهار على الحدود الخارجية للغابة المحلية ليبقوا النمر داخل هذه الحدود ويحولوا بينه وبين الخروج منها سعياً وراء ميدان جديد للصيد . وأخذوا يتركون الأنواع الرخيصة من الغنم مهملة عن عمد فى دائرة بحوله ليقتنع بالبقاء فى حدود هذه الدائرة . وكان أخوف ما يخافونه أن يموت ذلك الوحش بمرض الشيخوخة قبل حلول الأجل الذى حددته مسز باكثيد لاصطياده . وكانت النسوة وهن عائدات من أعمالهن فى الحقول يحملن أطفالهن على سواعدهن يكتمن غناءهن إذا مررن بالغابة حتى لا يقطع على سارق الغنم المحترم نومه الهادئ المريح

وأقبلت الليلة التى جعلت أجلا للصيد . وكانت ليلة مقمرة صافية ، وكان القرويون قد أعدوا مصطبة مريحة فوق إحدى الأشجار القائمة فى نقطة تناسب عملية الصيد ، وعلى هذه المصطبة قبعت مسز باكثيد ورفيقتها المأجورة مس مبين ، وكان القرويون قد عقلوا فى المكان المناسب شاة وهبتها الطبيعة القدرة على الثغاء الذى لا ينقطع حتى لو أن نمراً كان نصف أصم لسمعها دون شك فى الليلة الهادئة . وانتظرت المرأة الرياضية صابرة صبر الكرام مجئ الصيد المشتهى ، وكانت مزودة ببندقية مجهزة أدق تجهيز لإصابة المرمى ، كما كانت تحمل معها رزمة من ورق اللعب لقطع الوقت فى غير ملل

وقالت مس مبين :

« أحسبنا معرضتين لشئ من الخطر ؟ »

ولم تكن مس ميبن فى الواقع قلقة من ناحية الوحش المفترس ، ولكنها كانت ذات طبيعة تأبى أن تؤدى ذرة من العمل فوق القدر الذى أجرت على أدائه

وقد أجابتها مسز باكتيد :

« كلام فارغ ! فهذا النمر عجوز جدا ولن يستطيع أن يثب إلينا هنا حتى لو أراد ذلك »

فقالت صاحبتها :

إن كان نمرا عجوزا فمن رأيى أن تحصلى عليه بأرخص من هذا الثمن ، ، فان الألف روبية مبلغ كبير »

وكانت مس لويزا ميبن متطبعة بطبع أخت لهـا كبرى شديدة الحرص فيما يتصل بمسائل المال على العموم دون نظر إلى الجنسية والدين . وكان تدخلها المستمر سببا فى اقتصاد عدد كبير من الروبيات فلا تبدد « بقشيشاً » فى بعض فنادق موسكو كما كانت الفرنكات والسنتيمات تلتصق بأيديها التصاقا طبيعيا فى ظروف من شأنها أن تنتزعها دون تعب من أيد أقل من أيديها شفقة . وقطع عليها ملاحظتها على الثمن الذى تشترى به جثة النمر ووجوب تخفيض هذا الثمن ظهور النمر نفسه على المسرح ... على أن ذلك الحيوان الشيخ المحترم لم يكد يقع نظره على الشاة المتقلة حتى انبطح على الأرض هادئا ، لارغبة فى أن يحتاط على إخفاء نفسه عن نظرها ، حتى لاتهرب منه ، ولكن حرصا على أن يرتاح قليلا قبل أن يبدأ حملته الهائلة على فريسته .

فقالت لويزا ميبن فى صوت عال باللغة الهندوستانية لتسمع رئيس القرية الذى كان مختبئا على شجرة مجاورة :

« إنى أعتقد أنه مريض »

فقالت مسز باكتيد :

« صه ! »

وفى اللحظة نفسها أخذ النمر يسير متخطرا إلى فريسته

فقالت مس ميبن فى شئ من اللهفة :

« إذا كان النمر لا يمس الشاة فليس مايدعونا إلى أن ندفع ثمنها . »

وكان لهذه الشاة المدة طعما للنمر ثمن خاص . وهنا دوى فى الجو صوت الطلق النارى مسبوقا بوميض خاطف للأبصار ، فوثب الوحش الكبير مائلا على أحد جنبيه ورقد ساكنا سكون الموت . فلم تمض لحظة حتى احتشد حول الفريسة عدد كبير من الأهالى المتلهفين ، ولم يلبث صياحهم أن حمل الخبر السار إلى القرية ، فدقت الطبول دقة النصر . وكان لتهليل النصر وأغانى الابتهاج صداها الجميل فى قلب مسز باكتيد . وبدالها فى الحال أن وليمة الغداء فى شارع كرزون استربت ستكون أقرب مما قدرت

وكانت لويزا ميبن هى التى لفتت الأنظار إلى أن الشاة المسكينة تعانى آلام الموت من أثر إصابتها بطلق نارى بينما لا يوجد فى جسم النمر أى أثر للرصاصة التى أطلقت من بندقية الصيادة الماهرة . فكان من الواضح أن الطلق النارى قد أصاب الحيوان غير المقصود ، وأن الوحش الضارى قد مات بهبوط القلب من أثر صوت الطلق المفاجئ ، وقد ساعد على ذلك انحلال الشيخوخة . وقد ارتاعت مسز باكتيد ارتياعا ظاهرا من كشف هذه الحقيقة ولكنها على كل حال قد أصبحت مالكة نمرا ميتا ، أما القرويون الذين كان لعابهم يسيل على الألف روبية فلم يروا بأسا فى أن يتغاضوا عن خرافة اصطياد الوحش . وأما مس ميبن فكانت رفيقة مأجورة . وعلى ذلك واجهت مسز باكتيد آلات التصوير طروبة القلب ، وطار صيتهـا من صفحات جريدة « تكساس وسكلى اسنابشت » إلى ملحق يوم الاثنين المصور لجريدة « نوفوى فريميا »

أما فيما يتصل بلونا بمبرنون فقد بقيت عدة أسابيع آبية النظر إلى أية صحيفة مصورة . وكان الخطاب الذى بعثت به إلى مسز باكتيد تشكر لها فيه إهداءها مشبكا من مخلب النمر مثالا للانفعالات المكتومة ، وقد رفضت فى الوقت نفسه حضور وليمة الغداء ، فان هناك حدودا إذا تخطتها الانفعالات المكتومة

كان ذلك هو الخطر المحقق

وانتقل جلد النمر من شارع كرزون استريت إلى «مانورهاوس» حيث فحصه رجال البلدية فحصاً قانونيا وأعجبوا به إعجابا شديدا. ولقد كان من عوامل الزهو في نفس مسز باكلتيد ذهابها إلى حفلة تنكرية في مرقص البلدية في لباس ديانا إلهة الصيد. ولقد أبت مع ذلك أن تميل إلى اقتراح كلوفيس المغرى عندما اقترح إقامة مرقص على طراز القصور القديمة يلبس فيها الراقصون جلود الحيوانات التي اصطادوها حديثا. ولقد قال كلوفيس عندئذ:

« وسأكون في هذه الحال كالطفل الرضيع لا أجد ما ألبسه غير جلد أرنب أو أرنبين »

ثم قال وهو ينظر إلى تقاسيم وجه ديانا نظرة خبيثة:

« وإن قوامي ليشبه قوام ذلك الطفل الرومي الراقص »

وبعد أيام قليلة من ليلة المرقص قالت لويزا ميبن تخاطب مسز باكلتيد:

« ما أبلهها فكاهة أن يعرف الجميع حقيقة ما حدث! »

فسألتها مسز باكلتيد مسرعة:

« ماذا تقصدين بذلك؟ »

فأجابت مسز ميبن وهي تبتسم ابتسامتها الممضة:

« أقصد أنهم لو عرفوا كيف أصبت الشاة خطأ وأمت النمر خوفا »

فقالت مسز باكلتيد، وقد تقلبت الألوان على وجهها في سرعة مدهشة:

« لن يصدق إنسان ذلك القول »

فقالت مسز ميبن:

« ولكن لونا بجبرتون تصدقه في غير تردد »

فاخضر وجه مسز باكلتيد اخضرارا غريبا وقالت:

« أظنني على يقين أنك لن تخونيني؟ »

فأجابت مسز ميبن في لهجة ذات معنى:

« لقد رأيت على مقربة من دور كنج داراً خلوية لقضاء نهاية الأسبوع وإني لأحب أن أبتاعها، ولكنهم يطلبون ثمنا خالصا لها سمائة وثمانين جنيها وهو مبلغ مناسب لقيمة الدار ولكني لا أملكه »

وأصبح الأصدقاء جميعاً معجبين بالدار الجميلة التي أطلقت عليها مسز ميبن اسم «الأمواج» وهي دار صيفية جميلة تحيط بها حديقة غناء تحوي مجموعة من الأزهار البديعة.

وقد حكم الجميع بأن لويزا قد أبدعت الابداع كله في إعداد دارها وتجميلها.

وقررت مسز باكلتيد ألا تغامر في رياضة الصيد مرة أخرى وكانت تجيب أصدقاءها إذا سألوها عن السبب في ذلك الاحجام بقولها:

« لأن الصيد يتطلب أكلافا عرضية باهظة! »

ع . م

مطبعة الرسالة